

روضة البهار

فى ذكر جملة من شيوخه الذين فضلهم أظهر من شمس النهار

أقول معتمدا على ذى الطول، الذى بيده القوة والحول:

أردنا أن نذكر فى هذه الترجمة مشاهير شيوخ القاضى الإمام أبى الفضل عياض رحمه الله، وقد قدمنا فى الترجمة قبل هذه أسماء بعضهم على سبيل الإجمال، حيث جر الكلام إليها، وهذا هو محلها، وقد تكفل رحمه الله بذكرهم فى كتابه الذى أسماه بالغنية، وقد ذكر فيها نحو المائة.

وقال ابنه رحمه الله: انتهى عدد أشياخه الذين ذكرهم فى فهرسته، ممن سمعه أو أجازته، واليسير منهم لقيه وجالسه ولم يسمع منه إلى مئة شيخ. انتهى.

وقد ذكر كثيرا من أحوالهم فى الغنية، ولم تحضرنى نسخة منها الآن بفاس، لأننى تركت التى عندى بتلمسان، ولم أجد منها بفاس نسخة، وكل ما أذكره هنا من التعريف ببعض أشياخه فهو منقول من غيرها، وقد يتفق لفظه مع ما فيها.

شيوخ عياض

فمن جملة أسياده رحمه الله تعالى:

القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن رشد الفقيه ذكره ابن بشكوال^(١)، فقال: قاضي الجماعة بقرطبة، وصاحب الصلاة بالمسجد الجامع بها، يكنى أبا الوليد.

روى عن أبي جعفر بن زرق الفقيه، وتفقه معه، وعن أبي مروان بن سراج، وأبي عبد الله محمد بن خيرة، وأبي عبد الله محمد بن فرج، وأبي علي الغساني، وأجاز له أبو العباس العذري ما رواه؛ وكان فقيهاً عالمًا، حافظاً للفقه، مقدماً فيه على جميع أهل عصره، عارفاً بالفتوى على مذهب مالك وأصحابه، بصيراً بأقوالهم، واتفاقهم واختلافهم، نافذاً في علم الفرائض والأصول، من أهل الرياسة في العلم، والبراعة والفهم، مع الدين والفضل، والوقار والحلم، والسمت الحسن، والهدى الصالح.

سمعت الفقيه أبا مروان عبد الملك بن مسيرة يقول: شأدت شيخنا القاضي أبا الوليد يصوم يوم الجمعة دائماً، في الحضر والسفر. ومن تواليفه كتاب «المقدمات لأوائل كتب المدونة»، و«كتاب البيان والتحصيل، لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل»، و«اختصار المبسوطة»، و«اختصار مشكل الآثار» للطحاوي، إلى غير ذلك من تواليفه. سمعنا عليه بعضها، وأجاز لنا سائرهما، وتقلد القضاء بقرطبة وسار فيه بأحسن سيرة، وأقوم طريقة، ثم استعفى عنه فأعفى، ونشر كتبه وتواليفه، ومسائله وتصانيفه، وكان الناس يلجئون إليه، ويعولون في مهماتهم عليه، وكان حسن الخلق، سهل اللقاء،

(١) ابن بشكوال: الصلاة ص ٥٤٦، والغنية ص ٢٩.

كثير النفع لخاصته وأصحابه جميل العشرة لهم، حافظاً لعهودهم، كثير البر بهم، وتوفى عفا الله عنه ليلة الأحد، ودفن عشى يوم الأحد الحادى عشر من ذى القعدة، سنة عشرين وخمس مئة، ودفن بمقبرة العباس، وصلى عليه ابنه أبو القاسم، وشهده جمع عظيم من الناس، وكان الثناء عليه حسناً جميلاً. ومولده فى شوال سنة خمسين وأربع مئة.

وقد كان أيام حياته توجه إلى المغرب، إثر الكائنة التى كانت بين المسلمين والنصارى، بالموضع المعروف بالرينسول^(١)، وذلك فى منتصف شهر صفر عام عشرين وخمس مئة، فاستخار القاضى أبو الوليد فى النهوض إلى المغرب، مبيئاً لأمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين، ما الجزيرة عليه، فوصل إليه فلقه أكرم لقاء، وبقي عنده أبر بقاء، حتى استوعب فى مجالس عديدة، إيراد ما أزعجه إليه، وتبين ما أوفده عليه، فاعتقد ما قرره لديه؛ وانفصل عنه، وعاد إلى قرطبة، فوصلها آخر جمادى الأولى من السنة المذكورة، وعلى اثر ذلك أصابته العلة التى أضجعتة، إلى أن أفضت به قضاء نجه، ولقاء المرتقب من محتوم لقاء ربه، وتبارى الأدباء والشعراء فى تأبينه؛ وحق لهم ذلك، رضى الله عنه وأرضاه.

ومن أشياخ القاضى أبى الفضل عياض:

الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبى القرطبى، الشهير بابن الحاج^(٢)، قاضى الجماعة بقرطبة. روى عن أبى جعفر أحمد بن زرق الفقيه، وتفقه عنده، وقيد الغريب واللغة والأدب عن أبى مروان عبد الملك بن سراج، وسمع عن أبى عبد الله محمد بن فرج الفقيه،

(١) مكان يقع جنوبى غرناطة

(٢) ابن يشكوال: الصلة ص ٥٥٠، وفهرست شيوخ القاضى عياض المسمى بالغنية ص ٢٥.

وعن أبى على الغسانى وغيرهم . وكان من جلة الفقهاء ، وكبار العلماء ، معدوداً فى المحدثين والأدباء ، بصيراً بالفتيا ، رأساً فى الشورى ، وكانت الفتيا فى وقته تدور عليه ، لمعرفة وثقته وديانته ، وكان معتنياً بالحديث والآثار ، جامعاً لها ، مقيداً لما أشكل من معانيها ، ضابطاً لأسماء رجالها ورواتها ، ذاكراً للغريب والأنساب ، واللغة والإعراب ، وعالماً بمعانى الأشعار ، والسير والأخبار . قال ابن بشكوال : قيد العلم عمره كله ، وعنى به عناية كاملة ، ما أعلم أحداً فى وقته عنى كعنايته ، قرأت عليه وسمعت ، وأجازنى بخطه ؛ وكان له مجلس بالجامع بقرطبة ، يُسمعُ الناس فيه ، وتقلد القضاء بقرطبة مرتين ، وكان فى ذاته ليناً صابراً ، حليماً متواضعاً ، لم يحفظ له جور فى قضية ، ولا ميل بهوى ، ولا إصغاء إلى عناية ، وكان كثير الخضوع والذكر لله تعالى ، ولم يزل آخر عمره يتولى القضاء بقرطبة ، إلى أن قتل ظلماً بالمسجد الجامع بقرطبة ، يوم الجمعة وهو ساجد ، لأربع بقين من صفر ، من سنة تسع وعشرين وخمس مئة ، ومولده فى صفر سنة ثمان مثال خمسين وأربع مئة . وكتابه فى نوازل الأحكام ، المتداول لهذا العهد بأيدي الناس : من الدلائل على تقدمه فى المعارف وبراعته . تغمداً الله وإياه برحمته .

ومن أشياخ القاضى أبى الفضل عياض رحمه الله :

القاضى الشهير الحافظ الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربى المعافى الإشبلى^(١) ، رحل إلى المشرق مع أبيه يوم الأحد ، مستهل شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين وأربع مئة ، فدخل الشام ، ولقى بها أبا بكر محمد بن الوليد الطرطوشى ، وتفقه عنده ، ورحل إلى الحجاز فى موسم سنة تسع وثمانين ، ودخل بغداد مرتين ، وصحب أبا

(١) ابن بشكوال : الصلة ص ٥٥٨ ، والغنية ص ٣٩ ، والمرقبة العليا ص ١٠٥ .

بكر الشاشي، وأبا حامد الطوسي الغزالي، وغيرهما من العلماء والأدباء، فأخذ عنهم، ثم صدر عن بغداد، ولقى بمصر والإسكندرية جماعة، ثم عاد إلى الأندلس سنة ثلاث وتسعين، وقدم إلى إشبيلية بعلم كثير، لم يدخله به أحد قبله، ممن كان له رحلة إلى المشرق، ولذا نقل عنه أنه قال: كل من رحل لم يأت بمثل ما أتيت به أنا والقاضي أبو الوليد الباجي، أو كلاما هذا معناه. أو قال: لم يرحل غيري وغير الباجي، وأما غيرنا فقد تعب، أو نحو هذا، مما لم تحضرني عباراته الآن.

وكان من أهل التفنن في العلوم، متقدما في المعارف كلها، متكلماً في أنواعها، حريصاً على نشرها. واستقضى بمدينة إشبيلية، فقام بما قلد أحمد قيام، وكان من أهل الصرامة في الحق، والشدة والقوة على الظالمين، والرفق بالمساكين، ثم صرف عن القضاء، وأقبل على نشر العلم وبثه.

قال المحدث أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال: قرأت عليه [وسمعت] بإشبيلية، وسألته عن مولده، فقال لي: ولدت ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربع مائة؛ وتوفي رحمه الله بالعدوة، ودفن بمدينة فاس في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة^(١). انتهى.

وقال ابن بشكوال أيضاً في حقه:

هو الحافظ المستبصر ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها^(٢).

انتهى.

ومن تكملة^(٣) المحدث أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الأبار، عن أبي عبد الله بن مجاهد الإشبيلي الزاهد العابد: أنه لازم القاضي أبا بكر بن

(١) ابن بشكوال، ص ٥٥٩ وما بين حاصرتين منه.

(٢) الصلة لابن بشكوال، ص ٥٥٨.

(٣) نقله صاحب المرقبة العليا ص ١٠٦.

العربى نحواً من ثلاثة أشهر، ثم تخلف عنه، فقليل له فى ذلك، فقال كان يدرس وبغلته عند الباب، ينتظر الركوب إلى السلطان. انتهى.

وذكره الأستاذ أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير فى صلته^(١)، وقال

فيه:

رحل مع أبيه أبى محمد عند انقراض الدولة العبادية إلى الحج، سنة خمس وثمانين وأربع مئة، وسنه إذ ذاك نحو سبعة عشر عاماً، فلقى شيوخ مصر؛ وعدد أناساً ثم قال: وقيد الحديث، وضبط ما روى، واتسع فى الرواية، وأتقن مسائل الخلاف والأصول والكلام، على أئمة هذا الشأن، وعاد إلى بغداد بعد دخولها، وانصرف إلى الأندلس، فأقام بالإسكندرية، فمات أبوه بها أول سنة ثلاث وتسعين. ثم انصرف إلى الأندلس، فسكن بلده إشبيلية، وشوور فيه، وسمع ودرس الفقه والأصول، وجلس للوعظ والتفسير، وصنف فى غير فن تصانيف مليحة، حسنة مقيدة، وولى القضاء مدة، أولها فى رجب من سنة ثمان وعشرين، فنفع الله به، لصرامته ونفوذ أحكامه، والتزم الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، حتى أودى فى ذلك، بذهاب كتبه وماله، فأحسن الصبر على ذلك كله، ثم صرف عن القضاء، وأقبل على نشر العلم وبثه، وكان فصيحاً حافظاً، أديباً شاعراً، كثير الملح، مليح المجلس.

ثم قال: قال القاضى أبو الفضل عياض بن موسى - وقد وصفه بما ذكرته - ثم قال^(٢): ولكثرة حديثه وأخباره، وغريب حكاياته ورواياته، أكثر الناس فيه الكلام، وطعنوا فى حديثه، وتوفى منصرفه من مراكش، من الوجهة التى توجه فيها مع أهل بلده إلى الحضرة، بعد دخول مدينة إشبيلية،

(١) نقله صاحب المرقبة العليا ص ١٠٦.

(٢) نقله صاحب المرقبة العليا ص ١٠٦.

فحبسوا بمراكش نحو عام، ثم سرحوا، فأدرسته منيته بطريقه، على مقربة من فاس بمرحلة، وحمل ميتاً إلى مدينة فاس، فدفن بها، باب الجيسة.

قال: وروى عنه الجهم الغفير. فمن جملة من روى عنه من علماء المائة الخامسة، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى، وأبو جعفر بن الباذش، وطائفة. انتهى.

قال القاضي أبو الحسن بن الحسن النباهي في كتاب «المراقبة العليا»، فيمن يستحق القضاء والفتيا^(١) بعد أن ذكر ما قدمناه، ما نصه: والصحيح في القاضي أبي بكر أنه إنما دفن في خارج باب المحروق من فاس، وما وقع من دفنه باب الجيسة، وهم من ابن الزبير وغلط، وقد زرنه وشاهدنا قبره بحيث ذكرناه.

أرضاه الله وغفر لنا وله. انتهى.

قلت: وقد سبق ابن الزبير إلى ذلك القاضي أبو الفضل عياض في الغنية، فإنه قال: دفن جارج باب الجيسة. واعتذر عنه بعض الأكابر، بأن باب المحروق لم يكن إذ ذاك فتح، لأنه من بناء أمير المؤمنين الناصر بن أمير المؤمنين يعقوب المنصور بن أمير المؤمنين يوسف بن أمير المؤمنين عبد المؤمن ابن علي، ولا شك أن ذلك متأخر عن زمان عياض قطعاً، ويبقى الإشكال في كلام ابن الزبير، لتأخر زمانه عن ذلك.

(١) المراقبة العليا ص ١٠٧.

استطراد وتحقيق

بين الشيخين: ابن غازي والوانشريشي

وبعدما كتبت هذا هنا، وقفت على تأليف لطيف صغير الجرم، كثير العلم للشيخ الإمام العالم أبي عبد الله محمد بن غازي رحمه الله تعالى أَلَم في آخره بالمسألة المذكورة، فرأيت أن أورد بطوله، لما اشتمل عليه من الفوائد، وإن كانت أجنبية عما نحن فيه، ولكن لا يخلو من فوائد جمة، وختمته بهذا الغرض الذي ذكرناه، وخاطب به الشيخ الحافظ الإمام سيدي أحمد بن يحيى الوانشريشي المولد، التلمساني المنشأ والقراءة، الفاسي القبر والدار آخر عمره، بل أوسط عمره، وسماه: «بالإشارات الحسان، المرفوعة إلى حبر فاس وتلمسان» يعني بحبر فاس وتلمسان: الشيخ الوانشريشي المذكور؛ وقد كتب بطرره الشيخ الوانشريشي المذكور زوائد، هأنا أذكرها في محلها، تتميمًا للغرض، ونصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم.

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه حق حمده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه وعبد.

إلى السيد الفقيه، العلم، المحقق، المدرس، المفتي الصدر، الحجة، الكبير، الخطير، الأخطى، الملاحظ، الأحفل الأكمل، أبي العباس سيدي أحمد بن سيدي يحيى الوانشريشي، حفظ الله سبحانه وتعالى كماله، وبلغه في الدارين آماله، من مُحِبِّه طبعاً وشرعاً، أصلاً وفرعاً، وترّاً وشفعاً، إفراداً

وجمعاً، محمد بن أحمد بن غازي، سمح الله سبحانه وتعالى له، مسلماً عليكم أكمل السلام، مخصصاً لكم بمحض البر والإكرام.

سیدی متى صار النهر يستمد من الساقية؟ وكيف السیح يفتقر إلى السانية؟

* في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل *

* ليس التكحل في العينين كالکحل *

کتبت، كتب الله لك السعادة، وبلغك منها الحسنی والزيادة، تشارك محبكم في أمر سعيد برداً بإسكات عمر بن عبد العزيز، أو إخراجهم من المسجد، هل كان ذلك في خلافته، أو في إمرته بالمدينة؟ ومن برد هذا، ومن عرف به؟ ومن قال بإسلام أبي طالب غير المسعودي؟ ومن أبو العباس العشاب، الذي نقل عنه ابن عرفة في فصل الاستثناء من كتاب الطلاق؟ ومن الآبلى المصرى؟ وهل ألف أحد في التعريف برجال أهل السنة والمعتزلة؟

فتوزع فكر محبكم في إيرادكم شذر مذر، ولم يكن بد من إسعاف ردكم، ولو بالتشدد والهذر.

١ - أما قضية سعيد بن المسيب بن حزن مع عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، المذكورة في سماع القرينين من صلاة العتبية، فليس عند محبكم في طرده، إلا ما فسر به القاضي أبو الوليد بن رشد: أنه من جواره، لا من المسجد جملة؛ فإن وقفتم على تفسير أحد له بالإخراج من المسجد، فلکم الفضل في إفادتنا به، ثم لا مرية أن سعيداً مدنى، وأن عمر كان عاملاً على المدينة، إلى أن عزل عنها

سنة ثلاث وتسعين، حسبما هو فى ترجمة مالك من المدارك، عن مصعب بن عبد الله .

وفى جامع الموطأ لملك، أنه بلغه أن عمر بن عبد العزيز حين خرج من المدينة، التفت إليها فبكى، ثم قال: يا مزاحم، أتخشى أن تكون ممن نَفَتِ المدينة؟

قال أبو عمر: ذكر أهل السير أن خروج عمر مع مزاحم مولاة من المدينة، كان فى شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين، وذلك أن الحجاج كتب إلى الوليد: أن عمر بن عبد الله العزيز بالمدينة كهف لأهل النفاق، وأهل البغضاء والعداوة لأمر المؤمنين. فجأوبه الوليد: إنى أعزله. فعزله، وولى عثمان بن حيان المرى؛ وذلك فى شهر رمضان المذكور. فلما صار عمر بالسويداء قال لمزاحم: يا مزاحم أتخاف أن تكون ممن نفت المدينة؟

وقال ميمون بن مهران: ما رأيت ثلاثة مجتمعين خيراً من عمر بن عبد العزيز، وابنه عبد الملك، ومولاه مزاحم. انتهى.

قلت: مات ابنه ومولاه المذكوران قبله مطعونين ومات هو مسموماً. ذكر ذلك أبو نعيم الحافظ فى «حلية الأولياء». وكان ميمون بن مهران كاتبه رضى الله سبحانه وتعالى عنهم.

وأفضت الخلافة إلى عمر باستخلاف سليمان النهم إياه، فاستقر بالشام دار خلافة قومه بنى أمية إلى أن قبض ودفن بدير سمعان.

قال ابن الخطيب فى شرح رقم الحلل: من عمل حمص فى أخريات رجب سنة إحدى ومائة. وقبره مشهور يغشاه الناس. انتهى.

وقال الشاعر يرثيه رضى الله عنه :

أقول لما نعى الناعون لى عمرا لا يبعدن قوام الحق والدين
قد غيب الرامسون اليوم إذ رمسوا بدير سمعان قسطاس الموازين
وفى رواية «جربان الموازين». أنشدهما أبو نعيم فى الحلية. ورأيت فى
نسخة منها جريان بالياء آخر الحروف وأظنه تصحيفا لأن مصدر جريان جرى
جريان بفتح الراء والوزن يأباه مع ما فيه من القلق من جهة المعنى وصوابه
والله تعالى أعلم جربان بضم الجيم وإسكان الراء وبالياء ثانية الحروف، وأظن
أنَّ منه اللفظ الذى فى صرف العُتَيَّة فيمن له على رجل دينار فأعطاه به
نصفين وازنين قال: لا خير فيه إلا أن يكون للدينار جربان: معيار عنده. قال
القاضى أبو الوليد بن رشد: جُربان أى وزن معلوم. وفى صحاح الجوهري:
الجرب من الطعام والأرض: مقدار معلوم، والجمع أجربة وجربان. انتهى.

وبين التفسيرين فرق، ولكنهما حول حقيقة واحدة يدندنان. وإن كان
عند سيدنا فى تحقيق هذا اللفظ غير هذا فعسى أن يفيدنا به.

فإذا تقرر سكناه بالمدينة أيام العمالة، ثم بالشام أيام الخلافة، فالأظهر أن
طرد سعيد إياه كان أيام العمالة، حيث كان ثاويا بالمدينة، لقوله فى الرواية:
كان عمر بن عبد العزيز يخرج من الليل، أراه فى آخره، وكان ظاهره فى
المثابة ومظنتها الإقامة، لولا أنَّ شيخ الحقيقة وإمام الطريقة القاضى أبا الوليد
بن رشد قال: لم يهبه لمكانه من الخلافة، لجزالته وقوته فى الحق، وقلة
مبالاته بالأئمة. فاقضى كلامه أنَّ ذلك كان وهو خليفة لا وهو عامل. فإن
صح ذلك، فيحتمل أن يكون جاء ليزور المدينة على ساكنها أفضل الصلاة

والسلام فى أيام خلافته، وأقام فيها للعبادة. وربما يتعين هذا، بأن النافلة فى البيوت أفضل لغير الغرباء، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

وقد ذكر قول ابن رشد هذا محبكم ما فى صحيح البخارى، عن سعيد ابن المسيب، أنه قال: جاء جدى حَزَنٌ إلى رسول الله ﷺ فقال له: ما اسمك؟ قال: حزن. قال أنت سهل. فقال: ما كنت أغير اسماً سمانى به أبواى. قال سعيد: فما زالت الحزونة فىنا بعد. انتهى.

ولصلابته فى الحق، وشدته على الدين، امتحنه عبد الملك بن مروان وضربه بالسياط، وألبسه المسوح، وتبانا من الشعر، ونهى عن الجلوس إليه. وذلك أيام استعماله هشام بن إسماعيل على المدينة، وهو صاحب المد الهشامى لا الدينار الهاشمى، خلافاً لمن نسب له، وإلا قيل الهشامى أيضاً وتغيرات النسب مقصورة على السماع، وبالله تعالى التوفيق.

قال عبيد الله أحمد بن محمد المقرئ لطف الله به، وجدت بخط الإمام سيدى أحمد الوانشرىشى فى طرة: قول الإمام ابن غازى: «ولصلاته فى الحق... الخ» ما نصه:

قلت: ذكر أبو العرب فى كتاب المحن، أنه لما أراد عبد الملك بن مروان أن يكتب العهد لابنه الوليد، قيل له لا يتم لك هذا الأمر إلا بآبى المسيب، فكتب له، فكتب إليه أن يبايع، فرد إليه: إن رسول الله ﷺ نهانا أن نبايع لخليفتين، فإن أردتها لابنك، فاخلع نفسك، وإلا فلا. فكتب عبد الملك إلى عامل المدينة، هشام بن إسماعيل المخزومى: إن لم يبايع فأضربه مئة سوط، فضربه مئة، وحلق رأسه ولحيته، وكساه تباً من شعر، ونادى عليه، وطيف به إلى الليل، فأغلقت الدور، وكثر البكاء والتحسر، وما سمع يومئذ بالمدينة

إلا نائحة أو هاتف، لما انتهك من حرمة. وكان أيضاً قبل ذلك ضربه جابر ابن الأسود على البيعة لابن الزبير. انتهى.

ابن الحذاء: وكان جابر بن الأسود والى المدينة لابن الزبير، فدعاه إلى البيعة لابن الزبير، فضربه ستين سوطاً. ودعاه هشام بن إسماعيل أيضاً إلى البيعة للوليد وسليمان بالعهد، فلم يفعل؛ فضربه ستين سوطاً، وطاف به في المدينة، في تبان من شعر. انتهى.

قال بعض الشيوخ: إن كان استناد ابن المسيب في إبايته من البيعة للوليد حديث: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»، فإنما الحديث في البيعة للخليفتين، يفرق الثاني جماعة الأول، ويشق العصا. وإن كان النهي في غير هذا الحديث، فهو أعلم بما استند إليه، قال: وأما امتناعه من البيعة لابن الزبير، فإن البيعة حينئذ كانت انعقدت لبنى امية في الشام، وكان مذهب ابن المسيب كمذهب الأكثر، في منع القيام على من انعقدت له البيعة ثم ظهر فسقه. وانظر هذا مع قول مالك: ابن الزبير أحق بها من مروان وابنه عبد الملك.

انتهى ما ألفيته على هذا المحل بخط الشيخ العلامة الوانشرى.

ووجدت أيضاً بخطه ما نصه:

تنبيهات

الأول - ولد أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي، لستين مضتاً من خلافة عمر بن الخطاب. وتوفي بالمدينة، قال يحيى بن سعيد: سنة إحدى أو اثنتين وتسعين؛ وقال الواقدي: سنة أربع

وتسعين؛ وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء، لكثرة من مات منهم؛ وقال المدائني ويحيى بن معين: سنة خمس ومائة.

الثاني - قال غير واحد: عمال عبد الملك بن مروان: الحجاج بالعراق، وأخوه محمد في اليمن، والمهلب بخراسان، وهشام بن إسماعيل بالمدينة، وابنه عبد الله بمصر، وموسى بن نصير بالمغرب، ومحمد بن فلان بالجزيرة.

قال ابن خلكان: وكل واحد من هؤلاء ظلوم غشوم.

الثالث - هشام بن إسماعيل المذكور هنا هو ثالث آباء أبي هشام، محمد بن مسلمة الفقيه المدني، صاحب مالك. قال الشيرازي: وكان مالك إذا دخل على الرشيد دخل بين رجلين من بنى مخزوم: المغيرة عن يمينه وابن مسلمة عن يساره.

وهشام هذا هو الذي نسب إليه مدّ هشام المذكور في الوضوء والظهار، والذي يذكر عنه ذكر عهدة الرقيق في خطبته، وانظر شدة إنكار ابن العربي اعتبار مدّه في آية الظهار، من أحكامه تطالع. انتهى ما ألفيت بخط الوانشریش.

وقد سنح لي أن ما ذكره الشيخ ابن غازي عن ابن رشد من أن طرد سعيد بن المسيب عمر بن عبد العزيز إنما كان في خلافته، لا يتم إلا على القول بأن وفاته - أعنى سعيدا - كانت على رأس المائة أو بعدها، وأما على قول الأكثر إنه بعد التسعين بسنة أو سنتين أو أربع فلا يصح قطعاً فتدبره.

ومن العجائب إغفال الشيخين: ابن غازي والوانشريشي له. وإلى الله منتهى العلم.

ولنرجع إلى تكميل كلام الشيخ ابن غازى فى التأليف المذكور ونصه:
وأما برد فليس عند معظم قدركم أكثر من أنه مولى سعيد، كما أن زيد بن
حارثة وسفينة وأبا رافع وشقران: مولى رسول الله ﷺ، وبلال بن رباح
مولى أبى بكر، ويرفأ مولى عمر بن الخطاب، وحرمان مولى عثمان بن
عفان، ونافع مولى ابن عمر، وكريب وعكرمة البربرى مولى ابن عباس،
ومزاحم مولى عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنهم. وقد صرح بذلك
الحافظ أبو نعيم قائلًا فى ترجمة سعيد من الحلية عن برد مولى سعيد بن
المسيب: ما نوى للصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد فى المسجد. انتهى.

ولم أجد عند أبى جعفر العقيلي ولا عند أبى يحيى الباجى، ولا عند
ابن أبى أحد عشر الذى جمع بينهما من اسمه برد، وذلك والله أعلم لأحد
وجهين: إما أنه لم يتكلم فيه أحد بجرح، أو لكونه لا رواية له. ولا يعترض
هذا بوقوعه فى سند الحلية المتقدم إذ ليس بمرفوع. وقد ذكروا بعض من اسمه
بريد وبريدة لوقوعهما فى أسانيد المرفوع وتكلم بعض الأئمة فيهما ببعض
الجرح، وبالله العصمة، لا رب غيره.

وأبو عبد الله بن أبى أحد عشر المذكور: هو من أهل المَرِيَّة وقد عده
صاحب بغية الراغب فى أشياخه وعرف به تعريف كافيا.

٢ - وأما أبو طالب فليس عند معظم منصيكم فى شأن غير ما تضمنته
الصحاح من قوله آخر كلامه عند الموت: «على ملة عبد المطلب» وحديث
الضحاح الذى يغلى منه دماغه وقوله: «لولا أن تعيرنى النساء على المغازل
لأقررت بها عينك» وما نزل فيه من قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ
يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (١١٣) ﴿

[التوبة]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ...
 (٥٦)﴾ [القصص]، وقوله جل وعلى فى أحد التأويلين: ﴿وَهُمْ يَبْهَوْنَ عَنْهُ
 وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ...﴾ (٢٦) [الأنعام]. وأنشد فى فى تفسيرها الثعلبى والزمخشري
 له يخاطب رسول الله ﷺ:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد فى التراب دفينا
 فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منه عيونا
 ودعوتنى وزعمت أنك ناصح ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
 وعرضت دينا لا محال أنه من خير أديان البرية دينا
 لولا الملامة أو حذارى سبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا
 وقد فسر الطيبي فى فتوح الغيب غريبها.

وبحسب ما تقرر من حاله أورد علماؤنا، القاضى أو الفضل عياض
 وغيره السؤال على قوله عليه السلام: «لعله تنفعه شفاعتى» مع قوله تعالى:
 ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (٤٨) [المدثر]، وانفصلوا عنه بما فى كريم علم
 سيدنا.

وأما عبد المطلب الذى قلده، من أهل الفترة، وللقاضى أبى بكر بن
 العربى فى كتاب النسخ والمنسوخ كلام مليح على أهل الفترة عند قوله
 تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ
 صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) [البقرة].

وقد حدث محبكم غير واحد، عن الشيخ سيدى أبى محمد عبد الله
 العبدوسى، أنه كان يلهج بحديث وقف عليه فى بعض الكتب غير واحد عن

الشيخ سيدى أبى محمد أن الله عز وجل بعث لرسول الله ﷺ أبويه حتى آمنا به ﷺ إكراما لنبیه علیه السلام، وكان العبدوسى يستحسنه ويسر به كثيرا.

وقد أنشدنى بعض أصحابنا للنميرى السلوى :

وإن ابن طلاع روى أن أحمدا رأى أبويه بعد ذوق المنية

فأحياهما رب العباد فآمنا به ثم عادا مكرمين لتربة

وقدره عليه السلام أوسع من هذا كله، ﷺ وشرف وكرم وعظم :

لو ناسبت قدره آياته عظما أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

وأما قول المسعودى فى أبى طالب، فما استفاده محبكم إلا من كتبكم،

أبقى الله لنا بركاتكم.

قال جامع هذا الموضوع عبيد الله أحمد بن محمد المقرئ وفقه الله :

وجدت على هذا المحل من كلام الشيخ ابن غازى فى الطرة، بخط

الإمام سيدى أحمد الوانشرىشى رحمه الله ما نصه :

قال القاضى أبو عبد الله محمد بن خلفه الوشتاتى المعروف بالأبى فى

إكمال الإكمال ما نصه :

السهيلى : ورأيت فى بعض كتب المسعودى : وقيل إنه مات مؤمنا. ولا

يصح، لم تقدم من الآى والأحاديث.

ولا يحتج لذلك بما فى السير من قول العباس : «والله لقد قال أخى

الكلمة التى أمرته بها يا رسول» لأن النبى ﷺ قال : لم أسمعها. ولو أن

العباس شهد بذلك بعد إسلامه قبلت شهادته، لأن العدل إذا قال : سمعت

وقال الأعدل: لم أسمع أخذ بقول من أثبت، لأن عدم السماع قد يكون لسبب. فإن قلت: قد ذكرت أن السير تدل على أنه كان مصدقا بقلبه، وقدمت الخلاف في صحته إيمان من صدق بقلبه ولم ينطق بلسانه، فهل يدخل في إيمانه ذلك الخلاف؟ قلت: لا يدخل لأنه صرح بالنقيض في قوله هو: «على ملة عبد المطلب».

انتهى ما ألفيت بخط الوانشريشى.

ولنرجع إلى تتميم كلام ابن غازى.

٣ - قال رحمه الله: وأما أبو العباس العشاب الذى عرف بابن طلحة فلا يعرف مجل سيادتكم إلا من كلام ابن عرفة، وكأنه مؤرخ.

قال أحمد المقرئ وفقه الله: ألفيت على طرة هذا المحل بخط سيدى أحمد الوانشريشى رحمه الله ما نصه:

قلت: أبو العباس العشاب المعروف بابن طلحة فى كتاب الطلاق، وقد وهم فيه وعرف فى الترجمة مواقع الشهادات بابن الحبازى النحوى: هو أحمد ابن محمد بن إبراهيم المرادى المعروف بالعشاب. قال ابن مرزوق الخطيب فى فهرسة شيوخه: هو من أعظم من لقيت بثغر الإسكندرية، وأكثرهم تحصيلا، قرأت عليه بعض موطأ الإمام، وكتاب الشفا فى التعريف بحقوق المصطفى، وكتاب التيسير، وكتاب التفسير من تأليفه، جمع فيه بين تفسير ابن عطية وتفسير الزمخشري، وقرأت عليه أوائل الكتب الستة بأسانيده فيها. ويحمل عن أعلام، منهم: أبو القاسم بن البراء، والشيخ العارف أبو العباس أحمد بن عثمان بن أحمد بن عجلان القيسى الإشبلى، وأبو عمر عثمان بن سفيان المعروف بابن الشقى، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الواعظ

المعروف بابن الحجام، وأبو العباس بن الغماز، وعبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا الصدفي، وأبو القاسم بن زيتون، وأبو علي بن عبيل.

انتهى ما ألفيت في هذا المحل بخط الشيخ سيدي أحمد الوانشرشي.
ولنرجع إلى تكميل كلام ابن غازي.

قال رحمه الله: نعم ابن طلحة الذي عرف به: هو شيخ محمود الأعرج الزمخشري، قرأ عليه كتاب سيبويه بمكة، شرفها الله تعالى، سمعت ذلك من شيخنا الاستاذ سيدي أبي عبد الله الكبير برّد الله تعالى ضريحه، وقد عرف صاحب الخريدة الزمخشري، وهو بخزانة جامع الأندلس. وفي اعتقاد محبكم أن ابن طلحة هذا النحوي، خلاف الفقيه صاحب المدخل، وأنّ حظه من مسألة الاستثناء اللسان دون الفقه. فإن صح عند سيدنا أنّه هو فليفدنا به متطولا مأجورا مشكورا.

قال أحمد المقرئ وفقه الله:

وجدت على طرة هذا المحل، بخط سيدي أحمد الوانشرشي رحمه الله، ما نصه:

قلت: بل هو هو، وهو عبد الله بن طلحة بن محمد عبد الله اليابري، نزل إشبيلية أبو بكر وأبو محمد الأول أشهرهما. روى عن جماعة من الأعلام، نزل مكة شرفها الله، وكان من أهل المعرفة بالفقه وأصوله، ماهرا في النحو، حافظا للتفسير، قائما عليه، ذاكرة للقصص المتعلقة به، وذلك كان الغالب عليه وحلق به للعامة بإشبيلية وغيرها، فكانت العامة تنال على مجلسه. وله مصنفات، منها في التفسير كتاب كبير، ومنها في الفقه وأصوله، وشرح صدر رسالة الشيخ أبي محمد، ومنها ردّ علي ابن حزم،

ومنها كتاب فى الفقه على مذهب مالك، سماه سيف الإسلام، ومنها كتاب سمها المدخل إلى هذا المتاب، واستوطن مصر وقتاً، ثم رحل إلى مكة فجاور فيها إلى أن توفى بها رحمه الله. وكان حياً سنة ست عشرة وخمس مئة، وكانت له معرفة تامة بكتاب سيويه، وبسببه ارتحل إليه الزمخشري من خوارزم لقراءته عليه. انتهى.

من كتاب الذيل والتكملة لابن عبد الملك.

وذكر الشيخ أبو حيان فى باب القسم، أن الزمخشري رحل من خوارزم إلى مكة قبل العشرين والخمس مئة، لقراءة كتاب سيويه على رجل من أصحابنا ومن أهل الأندلس، يعرف بأبى بكر بن طلحة اليابرى، وكان مجاوراً بها، عالماً بالكتاب وغيره، وله تصانيف تقرأ عليه.

قلت: وتوفى فخر خوارزم، أبو القاسم محمود سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة. وقطعت إحدى رجله بسبب الثلج ولم يكن لريبة، والله اعلم.

انتهى ما وجد بخط الشيخ الوائشيشى على هذا المحل.

ولنرجع لكلام الإمام ابن غازى.

قال رحمه الله: وثم ابن طلحة آخر، وهو مخاطب أحد بنى رغبوش بقصيدة مديحية زائية الروى هائية الوصل حسبما، ذكر ابن عبد الملك فى تكلمته.

٤ - وأما الأبلى المصرى، فلا إخاله طرق اسمه سمعى إلا من جهتكم فإنكم ذكرتموه لى فى غير هذا الوقت، وقد سألت الفقيه المحقق سيدى أبا عبد الله القورى^(١) ليلة عن ضبط باء الأبلى الذكى الرحال: أبالضم أو بالكسر، فكأنه ترجح فيه، ثم مال إلى الضم.

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «الغورى».

٥ - وأما رجال أهل السنة والمعتزلة، فلا علم لمحبكم هل صنف فيهم أم لا. نعم ربما سمعت أو رأيت بعض حكاياتهم فى المناظرة، كمناظرة الشافعى حفصا الفرد، بعد ما أنشده الشافعى يتوعده متمثلا:

ستعلم يا يزيد إذا التقينا بشط الزاب أى فتى أكون

وذكرهم أبو نعيم فى الحلية، ومناظرة القاضى أبى بكر الطيب الباقلانى ابن المؤدب، إذ أخرج ابن المؤدب فُولا فرمى به، يعرض بالباقلانى، فأخرج الباقلانى سوطا فرمى به يعرض بابن المؤدب والحكاية ظريفة، ذكرها صاحب بغية الراغب فى ترجمة أبى عبد الله البغدادى.

قال أحمد المقرئ وفقه الله: وجدت بخط الوانشرىشى بطرة هذا المحل ما نصه:

أبو عبد الله هذا هو أبو بكر بن مجاهد، والله أعلم. انتهى.

ولنرجع إلى كرم ابن غازى..

قال رحمه الله ما نصه:

قال فَنَّا خُسْرُو يوما لوزرائه: هؤلاء المثبتة أما لهم ناصر؟ فقال له القاضى، قاضى الجماعة بشر بن الحسين: ليس لهم ناصر، وإنما هم قوم رعا، أتباع حشوية لا يعرفون النظر، وإنما هم أصحاب روايات وأخبار، والمعتزلة هم فرسان المناظر والجدل. فقال فنا خسرو: محال أن يكون مذهب قد طبق الأرض وليس له ناصر. فقال له بشر بن الحسين: سمعت أن رجلين بالبصرة أحدهما شيخ والآخر شاب، فأما الشيخ فهو أبو بكر^(١) محمد بن مجاهد، وأما الشاب فهو أبو بكر بن الطيب. فأرسل إليهما الأمير فنا خسرو

(١) فى هامش المطبوع: «هذا وهم من الشيخ الوانشرىشى، لأن أبا عبد الله بن مجاهد المتكلم غير أبى بكر بن مجاهد شيخ القراء، وسيأتى تفصيل لهذا الموضع بعد قليل.

خمسة آلاف درهم فضة طيبة. فقال أبو بكر بن مجاهد هؤلاء قوم ظلمة فسقة، لا يحل لى أن أظأ بسطهم، وليس غرضه منا إلا أن يقال إن مجلسه مشتمل على أصحاب المحابر، ولو كان ذلك لله تعالى، لكانت أموره جارية على السداد، وأنا لا أحضر عند قوم هذه صفتهم. قال أبو بكر بن الطيب فقلت له هكذا قال عبد الله بن كلاب، والحارث بن أسد المحاسبى: إن المأمون ظالم فسق ولا نحضر مجلسه، حتى سيق أحمد بن حنبل إلى طرسوس، ولما مات المأمون ضربه المعتصم بالسياط، ولو نصره لكان أولى، لأن الرجل كان يدعى أن أهل السنة ليست لهم حجة على قولهم، وإنما غرضهم رئاسة العامة ودفن الحق، ولو مضوا إلى المعتصم وبيّنوا له أن الذى يدعى عليه زور وبهتان لارتدع المعتصم، ولكن أسلموا أحمد بن حنبل لابن أبى داود القاضى فجرى على أحمد ما جرى وهم ينظرون. وكذلك أنت سلكت مسلكهم حتى يجرى على الفقهاء ما جرى على أحمد بن حنبل وهأنا خارج.

فقال له ابن مجاهد: إذا شرح الله صدرك لذلك فافعل.

قال القاضى أبو بكر بن الطيب: فخرجت إلى شيراز، فلما دخلت المدينة استقبلنى ابن خفيف، فى جماعة من الصوفية وأهل السنة، فلما جلسنا فى موضع كان ابن خفيف يدارس فيه أصحابه اللمع، للشيخ أبى الحسن الأشعرى، قال له القاضى أبو بكر: تماد على التدريس كما كنت، فقال له ابن خفيف: أصلحك الله! إنما أنا بمنزلة المتيمم عند عدم الماء، فإذا وجد الماء فلا حاجة إلى التيمم. فقال له القاضى: جزاك الله خيرا، وما أنت بمتيمم، بل لك وافر من هذا العلم وأنت على الحق والله ينصرك.

قال القاضى أبو بكر: قلت: متى الدخول إلى فنا خسرو؟ فقالوا لى: يوم الجمعة لا يحجب عنه صاحب طيلسان. فدخلت والناس قد اجتمعوا والملك قاعد على سرير ملكه، والناس صفوف على يسار الملك، وفوق الكل قاضى القضاة بشر بن الحسين، وكان يدخل مع الوزراء فى وزارتهم ويصغى الملك إلى رأيه فى أمر الدولة.

قال القاضى أبو بكر: فلما رأيت ذلك كرهت أن أتقدم على الناس، وأتخطى رقابهم، من غير أن أرفع، ولم تدعنى نفسى أن أقعد فى أخريات الناس، وكان عن يمين الملك المجلس خاليا، ولا يقعد هناك إلا ملك أو وزير عظيم المنزلة، فمضيت وقعدت عن يمينه بحذاء قاضى القضاة، فوجدوا من ذلك وفرعوا واضربوا، لأنه كان عندهم من الجنايات العظام، وما كان فى المجلس من يعرفنى إلا رجل واحد فقال للقاضى: أطال الله بقاء سيدنا هذا هو الرجل الذى طلبه الملك مولانا. فقال قاضى القضاة: أطال الله بقاء مولانا هذا هو الرجل الذى كتبت فيه، وهو لسان المثبتة، فنظر إلى الغلمان بين يديه والحجاب فطاروا من بين يديه، ثم قال لهم: اذكروا له مسألة. وكان فى المجلس رئيس البغداديين وهو الأحذب، وما كان زمانه أفصح منه ولا أعلم منه عندهم، فأما البصريون فحضر منهم خلق كثير أقدمهم أبو إسحاق النصيبى. فقال الأحذب لتلاميذه: سلوه: هل لله تعالى أن يكلف الخلق ما لا يطيقونه أو ليس له ذلك؟ فقال الرجل للقاضى: هل لله تعالى أن يكلف الخلق ما لا يطيقونه أو ليس له ذلك؟ فقال له القاضى أبو بكر: إن أردت بالتكليف القول المجرد فالقول المجرد قد توجه لأن الله تعالى قال: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً ۝﴾ [الإسراء]، ونحن لا نقدر أن نكون حجارة ولا حديدا

وقال تعالى: ﴿... أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١)﴾ [البقرة]، فطلبهم بما لا يعلمون، وقال تعالى: ﴿... وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢)﴾ [القلم]، وهذا كله أمر بما لا يقدر عليه الخلق، وإن أردت التكليف الذى نعرفه وهو ما يصح فعله وتركه فالكلام متناقض وسؤالك فاسد.

فأخذ الأحبب الكلام وقال: أيها الرجل، أنت سئلت عن كلام مفهوم، فطرحته فى الاحتمالات، وليس ذلك بجواب، والجواب - إذا سئلت: هل لله تعالى أن يكلف الخلق ما لا يطيقون - أن تقول: نعم له أن يكلف أو ليس له أن يكلف. فعدلت عن الجواب إلى ما ليس بجواب وهذا اضطراب شديد.

قال القاضى: فلما لم يوقرنى، ولم يخاطبنى بما يليق، قلت له: أيها الرجل أنت عائم ورجلاك فى الماء، إنى طرحت الكلام فى الاحتمالات، فلم تعدل أنت إلا لعجز أو لعى، فإن كان معك كلام فى المسألة، وإلا تكلم فى غيرها.

فقال الملك للأحبدب: هذا قد بين الاحتمالات، وتلا عليك الآيات. ثم إنى ما جمعتكم إلا لنستفيد، لا للمهاترة، ولا لما لا يليق بالعلماء. ثم التفت إلى وقال لى: تكلم على المسألة فقالت: ما لا يطاق على ضربين: أحدهما يطاق للعجز عنه، والآخر لا يطاق للاشتغال عنه بضده كما يقال: فلان لا يطيق التصرف لاشتغاله بالكتابة وما أشبه ذلك، وهذا سبيل الكافر: إنه لا يطيق الإيمان، لا لأنه عاجز عن الإيمان، لكنه لا يطيقه لاشتغاله بضده الذى هو الكفر، فهذا يجوز تكليفه بما لا يطاق.

وأما العاجز فما ورد فى الشريعة تكليفه، ولو ورد لكان صوابا، وقد

أثنى الله تعالى على من سألَه ألاَّ يكلفه ما لا طاقة له به ، لأن الله تعالى له أن يفعل فى ملكه ما يريد .

ثم تجاوز الأحذب إلى غيره من الكلام ، ومال الملك إلى قول القاضى أبى بكر .

قال القاضى : ثم سألنى النصيبى عن مسألة الرؤية : هل يرى البارى سبحانه بالعين ؟ وهل تجوز الرؤية عليه أو تستحيل ؟ وقال : كل شىء يرى بالعين فيجب أن يكون فى مقابلة العين . فالتفت الملك إلى القاضى أبى بكر وقال له : تكلم أيها الشيخ فى المسألة .

فقال القاضى : لو كان الشىء يرى بالعين لوجب أن يكون فى مقابلة العين على ما قال ، ولكن لا يرى الشىء بالعين . فتعجب الملك من ذلك والتفت إلى قاضى القضاة فقال : إذا لم ير الشىء بالعين فبأى شىء يرى ؟ فقال : يسأله الملك . فقال : أيها الشيخ فبأى شىء يرى إذا لم ير بالعين ؟ فقال أبو بكر يرى بالإدراك الذى فى العين . ولو كل شىء يرى بالعين لكان يجب أن نرى كل عين قائمة وقد علمنا أن الأجهر عينه قائمة ولا يرى شيئاً .

فزاد الملك تعجبا وقال للنصيبى : تكلم . فقال النصيبى : إنى لم أعلم أنه يقول هذا ، ولا بنيت إلا على ما نعرف ، وظننت أنه يسلم أن الشىء يرى بالعين . فغضب الملك وقال : ما أنت مثل الرجل لأنك بنيت المسألة على الظن . ثم التفت إلى وقال : تكلم . فقلت : العين لا ترى ، وإنما ترى الأشياء بالإدراك الذى يحدثه الله تعالى فيها وهو البصر ، ألا ترى أن المحتضر يرى الملائكة ونحن لا نراهم ؟ وكان النبى ﷺ يرى جبريل عليه السلام ولا يراه من يحضره ؟ والملائكة يرى بعضهم بعضا ولا نراهم نحن ؟ والدليل على جواز

رؤية الباري تعالى أنه ليس فيها قلب للحقائق، ولا إفساد للأدلة، ولا إلحاق صفة نقص بالتقديم تعالى، فوجب أن يكون كسائر الموجودات، لأنه تعالى موجود، والشئ إنما يرى لأنه موجود، لأن المرئي لم يكن مرئياً لأنه جنس، لأننا نرى سائر الأجناس المختلفة، ولا لقيام معنى بالمرئي، لأننا نرى الأعراض التي لا تحمل المعاني، وقد ثبت بالنص وجوب رؤية الحق سبحانه في الدار الآخرة. ثم طول الكلام.

قال ولم يزل فنا خسرو يتقرب إليه وينزل عن سريريه ملكه حتى صار بين يديه لما استعذب من كلامه.

فلما فرغ من المسألة، قيل للفارابي صاحب المنطق: تكلم معه فتلجلج في كلامه واقشعر وقال: إنما أنا صاحب أضرلاب، ما قدر هؤلاء وهم فرسان الكلام: الأحدث وبرغوث وغيرهم على جدالة.

فخرج القاضي أبو بكر وأمر الملك بإنزاله والجرأية عليه وقال: والله ما كنت إلا مفكراً بأى لون من القتل أقتله إذا لم يستحق مكانه، وأما الآن فقد ظهر لى أنه أحق بمكانى هذا، ولكنى مبتلى بالملك. انتهى.



والمراد بالمشبهة هنا: أهل السنة، والزمخشري يسميهم المجبرة، وقع له ذلك وفي أماكن من الكشف منها فى تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ...﴾ (١٠٠) [المائدة]، وفى وقوله سبحانه: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ...﴾ (٢٢) [إبراهيم]. ولصاحب «الانتصاف من الكشف» ولصاحب «فتوح الغيب» فى الرد عليه عند تفسير الآيتين كلام حسن ينبغى الوقوف عليه.

وسمى أهل السنة المجبرة، لاعتقاده قرب مذهبهم من مذهب الجبرية، لا سيما وقد قال بعض أئمة أهل السنة: «وبالجبر أقول والله المستعان».

وقد حدثنا شيخنا الاستاذ سيدى أبو عبد الله الكبير، عن شيخه أبى عبد الله العكرمى، وكان لسنا، أنه كان كثيرا ما يقول: إمامان عظيمان قالوا بالجبر من أئمتنا: القاضى أبو بكر بن العربى، والفخر بن الخطيب، كما أن إمامين عظيمين من أئمتنا نسب إليهما القول بالجهة وهما أبو محمد بن أبى زيد، وأبو عمر بن عبد البر، وجنح لذلك ابن المراتب فى تفسير البخارى وهو ديوان كبير بخزانة جزيرة الأندلس.

ثم عند محبكم تردد فى أبى بكر بن مجاهد هذا، هل هو شيخ أئمة الإقراء الذى يعتمد عليه أبو عمرو الدانى فى «إيجاز البيان» وفى التمهيد كثيرا. وقال فيه الجعبرى إنه المسبغ الأول. صنف كتاب السبعة على رأس الثلاث مئة. وقال أبو على الأهوازى: هو الذى أخرج يعقوب من السبعة وجعل الكسائى مكانه. وهو الذى قال له الشبللى: أين تجد فى القرآن العزيز أن الحبيب لا يعذب حبيبه؟ فقال: لا أدرى. فأشار إلى قوله تعالى: ﴿... قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ...﴾ [المائدة] حسبما بسطه القاضى أبو الفضل عياض فى ترجمة الشبللى من المدارك. وفى ظنى أن اسم المقرئ موسى، وقد سمى هذا هاهنا محمدا، فليسيدنا الفضل فى تحقيق ذلك لنا فى كتاب طبقات القراء لأبى عمرو الدانى، ومن تعريف الجعبرى الذى ختم به شرح القصيد، وهما بخزانة جامع القرويين عمره الله تعالى.

ولله در على بن المدينى حيث قال: أشد التصحيف، التصحيف فى أسماء الرجال. ولا شك أن هذا موضع لبس كابنى وابنى زياد، ممن اتحد اسمه، وتعدد مسماه، وكالأبهري والصالحى فى عكسه.

ورحم الله الشيخ الفقيه سيدى أبا محمد عبد الله العبدوسى، فقد حدثنى عنه الثقة أنه كان يمثل هذا المعرض الذى نحن بصده، بقضية القاضى أبى بكر ابن العربى، فإن كثيرا من الناس ينكرون أن يكون هو المدفون خارج باب المحروق، ويقولون إنما هو مدفون خارج باب الجيسة، واغتروا فى ذلك بظواهر التواريخ. وذلك أن القاضى أبا الفضل عياض ذكر فى «الغنية» أنه دفن خارج باب الجيسة^(١) قال: وجوابه أن باب المحروق لم يكن فتح فى ذلك الوقت، وإنما فتح على رأس ست مئة سنة، فكان ذلك الخارج كله ينسب لباب الجيسة، ثم يدفع فى صدر هذا الجواب ما فى بعض هذه التواريخ أنه دفن على مقربة من حارة الجذمى. قال: وجوابه أن الجذمى كانوا هناك قديما، حتى تضرر أهل فاس بسكنائهم على رأس مائهم، فنقلوا إلى موضعهم اليوم.

ثم يرد على هذا أنا نجد عند باب الجيسة إلى جنب حارة الجذمى قبر رجل يسمى بابن العربى يقصده الناس بالزيارة كثيرا فلعله هو. قال: وجوابه أن ذلك رجل آخر يدعى أيضا بابن العربى كان مؤقتا فى القرويين. قلت: ويزاد فيه أن الفقيه هو أبو بكر، وهذا الذى خارج باب المحروق اشتهر بأبى يحيى. وجوابه أنهما كنيستان مترادفتان على مسمى واحد وبالله سبحانه وتعالى التوفيق.

وقد هذى محبكم هنا وهجر، وأهدى التمر لأهل هجر، وجلب العنبر إلى البحر الأخضر، فلكم الفضل فى الإغضاء، والتجاوز والإمضاء. وكتب فى أوائل ذى الحجة الحرام خاتم عام سبعة وتسعين وثمانمائة عرفنا الله خير، ووقانا ضيره، والسلام الكريم يخص مقامكم العلى، ومنصبكم السمى، وأهليكم وذويكم، ومن هو منكم وفيكم، ورحمة الله تعالى وبركاته.

(١) الغنية ص ٤٠.

انتهى التأليف العجيب للشيخ العلامة أبى عبد الله بن غازى رحمه الله .
ووجدت فى آخره ما نصه : الحمد لله . وكذلك يسلم على كريم
مقامكم خديمكم أحمد بن محمد بن غازى ، قاصدا بتوالى كتبه التبرك بكم ،
ملتئسا منكم الدعاء ، أفاض الله علينا من بركاتكم ، ونفعنا بحببتكم ، بجاه
النبي عليه السلام . انتهى .

وأوردت جميعه لما قدمته ، والله تعالى المنجد المعين .

قلت : وقد وقفت على كلام لبعض الأقدمين «ينفى الاحتمال» فى أمر
ابن العربى المذكور ونصه : توفى ابن العربى منصرفه من مراکش بموضع يعرف
بأغلان ، على مسيرة يوم من فاس ، غربا منها ، فاحتمل فينا إلى فاس فى
اليوم الثانى من موته ، وذلك يوم الأحد السابع من ربيع الأول سنة ثلاث
وأربعين وخمس مئة ، ودفن بأعلى مدينة فاس ، خارج القصبه ، بتربة القائد
مظفر ، وصلى عليه صاحبه أبو الحكم بن حجاج رحمه الله . انتهى .
وقدمنا عن ابن بشكوال أنه توفى فى ربيع الآخر من هذه السنة ، فالله
أعلم .

وقد ذكر بعض من شرح الشفا أنَّ ابن العربى توفى سنة اثنتين
وأربعين .

قلت : وهو غير صحيح إن شاء الله تعالى وإنما الصحيح ما قدمته .
ومن صلابة الإمام أبى بكر بن العربى رحمه الله أنَّه حكم فى زامر
بثقب أشداقه ، حسبما نقله صاحب المعيار وغيره .

ومن بديع نظمه رحمه الله :

أتنى تؤنبى بالبكا فأهلا بها وتأنبها
تقول وفى نفسها حسرة أتبكى بعين ترانى بها
فقلت إذا استحسنت غيركم أمرت جفونى بتعذيبها
وقال رحمه الله: دخل على ابن صارة، وبين يدى نار قد علاها رماد،
فقلت: لتقل فى هذا فقال:

شابت نواصى النار بعد سوادها وتسترت عنا بثوب رماد
ثم قال لى ابن صارة: أجز. فقلت:

شابت كما شبننا وزال شبابنا فكأنما كنا على ميعاد
وحكى غير واحد أن القاضى أبا بكر بن العربى رحمه الله، بينما هو
جالس فى محل درسه إذ دخل شاب من المثلثين ويده رمح، فهزه، فقال
القاضى أبو بكر رحمه الله:

يهز على الرمح ظبى مهفهف لعوب بألباب البرية عابث
فلو كان رمحا واحدا لاتقيته ولكنه رمح وثانى وثالث
وقد اختلف حذاق الأندلس من أهل الأدب فى معنى الرمح الثانى
والثالث، وأكثرهم يقول: هما القد واللحظ، والله اعلم.

ولما ذكر الإمام ابن العربى المذكور رحمه الله فى كتاب قانون التأويل
ركوبه البحر فى رحلته من إفريقية قال:

وقد سبق فى علم الله أن يعظم علينا البحر بزَوْله، ويغرقنا فى هوله،

فخرجنا من البحر خروج الميت من القبر، وانتهينا بعد خطب طويل، إلى بيوت بنى كعب بن سليم، ونحن من السغب على عطب، ومن العرى فى أقبح زى، قد قذف البحر زقاق زيت، مزقت الحجارة منيئتها، ودسمت الأدهان وبردها وجلدها فاحتزمنها أزرأ، واشتملناها لفعا، تمجنا الأبصار، وتخذلنا الأنصار، فعطف أميرهم علينا، فأوينا إليه فأوانا، وأطعمنا الله تعالى على يديه وسقانا، وأكرم مثوانا، وكسانا بأمر حقير ضعيف، وفن من العلم ظريف.

وشرحه: أنا لما وقفنا على بابه ألفيناه، يدير أعواد الشاه، فعل السامد اللاه، فدنوت منه فى تلك الأطمار، وسمح لى بياذقته، إذ كنت من الصغر فى حدٍ يسمح فيه للأغمار، ووقفت بإزائهم، أنظر إلى تصرفهم من ورائهم، إذ كان علق بنفسى بعض ذلك من بعض القرابة فى خلس بطالة، مع غلبة الصبوة والجهالة، فقلت للبياذقة: الأمير أعلم من صاحبه، فلمحونى شزرا، وعظمت فى أعينهم بعد أن كنت نَزْراً، وتقدّم إلى الأمير من نقل إليه الكلام فاستدعانى، فدنوت منه، وسألنى: هل لى بما هم فيه بصر؟ فقلت لى فيه بعض نظر، سيبدو لك ويظهر، حرك تلك القطعة ففعل، وعارضه صاحبه فأمرته أن يحرك أخرى، وما زالت الحركة بينهم كذلك تترى، حتى هزمهم الأمير، وانقطع التدبير فقال: ما أنت بصغير. وكان فى أثناء تلك الحركات قد ترنم ابن عم الأمير منشدا:

وأحلى الهوى ما شك فى الوصل ربه وفى الهجر فهو الدهر يرجو ويتقى
فقال: لعن الله أبا الطيب! أو يشك الرب؟!!

فقال له فى الحال: ليس كما ظن صاحبك أيها الأمير، إنما أراد بالرب هاهنا الصاحب. يقول: ألد الهوى ما كان المحب فيه من الوصال، وبلوغ

الغرض من الآمال على ريب، فهو فى وقته كله على رجاء لما يؤمله، وتقاة لما يقطع به كما قال:

إذا لم يكن فى الحب سخطا ولا رضا فأين حلاوات الرسائل والكتب
وأخذنا نضيف إلى ذلك من الأغراض، فى طرفى الإبرام والانتقاض،
ما حرك منهم إلى جهتى داعى الانتهاض، وأقبلوا يتعجبون منى، ويسألوننى
كم سنى؟ ويستكشفوننى عنى، فبقرت لهم حديثى، وذكرت لهم نجيثى،
وأعلمت الأمير بأن أبى معى، فاستدعاه، وقمنا الثلاثة إلى مثواه، فخلع علينا
خِلعَه، وأسبل علينا أدمعه، وجاء كل خِوان بأفنان الألوان.

ثم قال بعد المبالغة فى وصف ما نالهم من إكرامه:

فانظر إلى هذا العلم الذى هو إلى الجهل أقرب، مع تلك الصبابة
اليسيرة من الأدب، كيف أنقذانا من العطب؟ وهذا الذى يرشدكم إن غفلتم
إلى الطلب.

وسرنا حتى انتهينا إلى ديار مصر. انتهى مختصرا.

والزول العجب. ونجيث الخبر: ما ظهر من قبيحه يقال: بدا نجيث
القوم: إذا ظهر سرهم الذى كانوا يخفونه. قالهما الجوهري.

إفادة: قال الإمام غازى رحمه الله:

فى هذه الرحلة لقى ابن العربى شيخه دانشمند الأكبر، وهو إسماعيل
الطوسى، ودانشمند الأصغر، وهو أبو حامد الغزالى الطوسى. ومعنى
«دانشمند» بلغة الفرس عالم العلماء، وكان شيخنا الأستاذ أبو عبد الله الصغير

يحكى أنا عن شيخه أبى محمد عبد الله العبدوسى أنه بلغه أن الفرس
يفخمون ميم دانشمند. والله تعالى أعلم.

قال ابن العربى فى قانون التأويل: ورد علينا دانشمند يعنى الغزالى،
فنزل برباط أبى سعد، بإزاء المدرسة النظامية، معرضاً عن الدنيا، مقبلاً على
الله تعالى، فمشتينا إليه، وعرضنا أمانيتنا عليه، وقلنا له: أنت ضالتنا التى كنا
ننشد، وإمامنا الذى به نسترشد. فلقيناه لقاء المعرفة، وشاهدنا منه ما كان
فوق الصفة، وتحققنا أن الذى نقل إلينا من الخبر على الغائب فوق المشاهدة،
ليس على العموم، ولو رآه على ابن العباس لما قال:

إذا ما مدحت امرأ غائباً فلا تغل فى مدحه واقصد
فإنك إن تغلُ تغلُ الظنُّ ن فيه إلى الأمد الأبعد
فيصغر من حيث عظمته لمفضل المغيب على المشهد
انتهى.

وقال بعض من عرف به، أعنى بابن العربى رحمه الله، ما نصه^(١):
علم الأعلام، الطاهر الأثواب، الباهر الألباب، الذى أنسى ذكاء إياس، وترك
التقليد للقياس، وأنتج الفرع من الأصل، وغدا فى يد الإسلام أمضى من
النصل، سقى الله به الأندلس، بعد ما أجذبت من المعارف، ومدَّ عليها منه
الظل الوارف، فكساها رونق نبلة، وسقاها ريق وبَّله، وكان أبوه أبو محمد
باشبيلية بَدراً فى فلکها، وصدرًا فى مجلس ملکها، واصطفاه متمد بن عباد
اصطفاء المأمون لابن أبى دُوَاد، ولاه الولايات الشريفة، وبوَّاه المراتب المنيفة،

(١) نفح الطيب ج ٢ ص ٣٣.

فلما أقفرت حمص من ملكهم وخلت، وألقتهم منها وتخلت، رحل به إلى المشرق، وحل فيه محل الخائف الفرق، فجال في أكنافه، وأجال قداح الرجاء في استقبال العز واستئنافه، فلم يسترد ذاهبا، ولم يجد كمعتمده باذلا زاهيا، فعاد إلى الرواية والسماع، وما استفاد من إجمالة تلك الأطماع، وأبو بكر إذ ذاك في ثرى الذكاء، قضيب ما دَوَّح، وفي روض الشباب زهر ما صوح، فالزمه مجالس العلم رائحا وغاديا، ولازمه سائقا إليها وحاديا، حتى استقرت به مجالسه، واطردت له مقايسه، فجد في طلبه، واستجد به أبوه منخرق أربه، ثم أدرك حمامه، ووراته [هناك]^(١) رجامه، وبقي أبو بكر متفردا، وللطلب متجردا، حتى أصبح في العلم وحيدا، ولم تجد عنه الرياسة محيدا، فكر إلى الأندلس، فحلها والنفوس إليه متطلعة، ولأنبائه متسمعة، فناهيك من حظوة لقي، ومن عزة سقى، ومن رفعة سما إليها ورقى، وحسبك من مفاخر قلدها، ومن محاسن [أنس]^(١) أثبتتها فيها وخلدها.

وقد أثبت من بديع نظمه ما يهز أعطافا، وترده الأوهام نطافا. فمن ذلك قوله يتشوق إلى بغداد، ويخاطب أهل الوداد:

أمنك سرى والليل يخدع بالفجر	خيال حبيب قد حوى قصب الفخر ^(٢)
جلا ظلم الظلماء مشرق نوره	ولم يخبط الظلماء بالأنجم الزهر
ولم يرض بالأرض البسيطة مسحبا	فسار على الجوزا إلى فلك يجرى
وحت مطايا قد مطاها بعزة	فأوطأها قسرا على قنة النسر

(١) التكملة من نفح الطيب ٣٤/٢.

(٢) نفح الطيب ٣٤/٢.

فصارت ثقالا بالجلالة فوقها وسارت عجالا تتقى ألم الرجر
 وجرت على ذيل المجرة ذيلها فمن ثم يبدو ما هناك لمن يسرى
 ومرت على الجرباء توضع فوقها فأثار ما مرت به كلف البدر
 وسافت أريج الخلد من جنة العلى فدع عنك رملا بالأنيعم يستدري
 فما حذرت قيسا ولا خيل عامر ولا أضمرت خوفاً لقاء بنى ضمير
 سقى الله مصرا والعراق وأهلها وبغداد والشاميين منهل القطر
 انتهى .

وما أقرببه من نفس الفتح، صاحب القلائد والمطمح، ولعل هذا من
 كلامه فى المطمح. والله اعلم.

وقد طال الكلام، ولكن لا يلحقنا فى مثله الملام.

ومن تأليف^(١) الإمام أبى بكر بن العربى المذكور، كتاب «القبس، فى
 شرح موطأ مالك بن أنس» وكتاب «ترتيب المسالك، فى شرح موطأ مالك»،
 وكتاب «أنوار الفجر» فى تسعين سفرًا، وكتاب «أحكام القرآن»، وكتاب
 «عارضة الأحوذى - بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة، وفتح الواو، وكسر
 الذال المعجمة، وآخره ياء مشددة - على الترمذى»، وكتاب «مراقى الزلف»،
 وكتاب «الخلافات»، وكتاب «نواهى الدواهى»، وكتاب «سراج المريدين»،
 وكتاب المشكلين: مشكل القرآن والسنة، وكتاب «الناسخ والمنسوخ فى

(١) نفح الطيب ٣٥/٢.

القرآن»، وكتاب «قانون التأويل»، وكتاب «النيرين في الصحيحين»، وكتاب «سراج المهتدين»، وكتاب «الأمد الأقصى، بأسماء الله الحسنی وصفاته العليا»، وكتاب في الكلام على «مشكل حديث السبحات والحجاب»، وكتاب «العقد الأكبر، للقلب الأصغر»، و«تبیین الصحيح، فی تعیین الذبیح»، و«تفضیل التفضیل، بین التحمید والتهلیل»، ورسالة «الكافی، فی أن لا دلیل على النافی»، وكتاب «السباعیات»، وكتاب «المسلسلات»، وكتاب «التوسط فی المعرفة بصحة الاعتقاد، والرد على من خالف أهل السنة من ذوی البدع والإلحاد»، وكتاب «شرح غریب الرسالة»، وكتاب «الإنصاف»، وكتاب «ملجئة المتفقهين، إلى معرفة غوامض النحويين».

ورأيت في بعض المجاميع ما نصه: قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله: قال علماء الحديث: ما من رجل يطلب الحديث إلا كان على وجهه نضرة، لقول النبي ﷺ: «نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها، فأداها كما سمعها». الحديث.

قال: وهذا دعاء منه عليه السلام لحملة علمه، ولا بد بفضل الله من نيل بركته.

وإلى هذه النضرة أشار أبو العباس العزفي رحمه الله بقوله^(١):

أهل الحديث عصاة الحق فازوا بدعوة سيد الخلق
فوجوههم زهر منضرة لألأوها كتألق البرق
يا ليلتي معهم فيدركني ما أدركوا بها من سبق
انتهى.

(١) نفح الطيب ٣٦/٢.

ومن أشياخ القاضى عياض رحمه الله :

القاضى أبو عبد الله بن حمدىن التغلبى^(١)، وهو محمد بن على بن محمد بن عبد العزيز بن أحمد التغلبى، بمشاه من فوق، وغىن معجمة، منسوب لتغلب بكسر اللام وفتحها.

ولد سنة تسع وثلاثىن وأربع مئة؛ ومات يوم الخميس لثلاث بقىن من المحرم سنة ثمان وخمس مئة؛ ودفن يوم الجمعة بعد صلاة العصر.
وقال فى حقه صاحب القلائد^(٢):

حامى ذمار الدين وعاضده، وقاطع ضرر المعتدىن وخاضده، ملك للعلوم زماماً، وجعل العكوف عليها لازماً، فحيا رسمها، وأعلى اسمها، وخاصمت الملحدىن منه ألسن لد، وتهدلت به على العالمىن أغصن ملد، وكف أيدى الظالمىن، فلم تكن لهم استطالة؛ وأرهف خواطر المجتهدىن، فلم تسنح لهم بطالة؛ فأصبح أهل مصره بين دارس علم، ولابس حلم، وآيس ظلم؛ ناهيك من رجل كثر الرعى لأهل المعارف، مؤوٍ من بره إلى ظل وارف؛ أعم الورى منه، وأعظم خلق الله منه؛ وأقام وأدنى وأبعد، وأنحس وأسعد؛ فتقلصت به الظلال وفاءت، وحسنت به الأيام وساءت؛ وأعمل للضرر والنفع لسانه ويده، وشغل بالرفع والوضع يومه وغده، وعمر بهما فكره وخلده؛ حتى هد الجبال الشوامخ، واجتث الأصول الرواسخ.

ولما أدار ابن الحاج من خلافه سنة تسع وتسعىن ما أدار، واتفق هو ومن واطأه على ما فسخته الأقدار، استشير فى الخلع فما أساغه، وأرىغ ضيره فلم

(١) فهرست شيوخ القاضى عياض (الغنىة) ص ٢٤.

(٢) قلائد العقىان، ص ٦١٠.

يكن فيمن راغبه، وعوض على الحمام فما هابه، ووالى فى نقض ما أبرموه
جيئته وذهابه، وسمح فى ذلك بنفسه، وقنع من غده بذكر أمسه.

فلما انجلت ظلماؤه، وتحلت بنجوم ظفره سماؤه، أغرى بالمطالبين
اهتضامه وحيفه، وسرى إليهم مكره سرى قيس لحمل وحذيفة، وأعلن لمن
أسر إغراء ولم ينظر بالمكروه نظراءه، فأخمل منهم أعلاما، وأورث نفس
الدين منهم آلاما، وألبسهم ما شاء ذما من الناس وملاما، فدجت مطالع
شموسهم، وخلت مواضع تدريسهم، فأصبحوا ملتحفين بالمهانة، متشوفين
إلى الإهانة، يروعهم الرواح والغدو، ويحسبون كل صيحة عليهم هم العدو،
ويذعرهم طروق النوم للأجفان، وينكرهم الثابت العرفان، فقد فقدوا حبوراً،
وعادت منازلهم قبوراً، إلى أن نفس مُحَنَّقُهُم بعد أحوال، وخلا أفقهم من
تلك الأهوال، فتنشقوا ريح الحياة، وأشرقوا من تلك الظلمات، بعد أن أحال
البؤس نعيمهم، وأخذ الحمام زعيمهم.

وكان رحمه الله متضح [طريق]^(١) الهدى، منفسح الميدان فى العلم
والندى، مع أدب كالبحر الزاخر، ونثر كالدر الفاخر، وقد أثبت منه ما
تعذب مقاطفه، وتلين معاطفه. فمن ذلك فضل راجع به ابن شماخ: عمر
بابك، وأخصب جنابك، وطاوعك زمانك، ونعم بك أوانك.

وسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمى

فما درج لسبيله من كنت سلاله سليله، ووارث معرسه ومقيله، وما
خام وضرع، فخر رمى عن وتر قوسك ونزع، ولم يهلك هالك، ترك مثل
مالك، فتركت المهاد، وألفت السهاد، وتقيلت الآباء والأجداد، فأسرجت فى

(١) التكملة من قلائد العقيان، ص ٦١٢.

ميدان الحمد براقا، اتخذ [الريح]^(١) خافية وساقا، فاحتل من شعاب المجد
صعقا، أثار به نقعا، ودوم فى أفق السماء، تدويم فرخ الماء، حتى كأنه على
قمة الرأس ابن ماء، فحق لباهر فضلك أن يطول فيقول:

لا بقومى شرفت بل شرفوا بى وبنفسى فخرت لا بجدودى
أو يتنزل فيتمثل:

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابْنَا كَرَّمْتَ يَوْمَا عَلَى الْأَحْسَابِ نَتَكَلَّ
نَبْنِى كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِى وَنَفْعَلْ مِثْلَ مَا فَعَلُوا
كَمْ مَتَعَاظُ شَأْوَ طَلْقِكَ، سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ شَقَّ غِبَارِكَ، وَاقْتَفَاءُ مِنْهَا
آثَارِكَ فَمَا أَدْرِكُ، وَطَلَحَ بَعِيرُهُ وَبَرَكَ.
وفى فصل منها^(٢):

بيننا وسائل، أحكمتها الأوائل، ما هى بالأنكاث، والوشائج الرثا من
دونها عهد، جناه شهد، أرج عرف النسيم، مشرق جبين الأديم، رائق رقعة
الجلباب، مقتبل رداء الشباب، كالصباح المنجاب، تروق أساريه، وتلقاك قبل
اللقاء تباشيره.

ورثناهن عن آباء صدقٍ ونورثها إذا متنا بنينا

(١) التكملة من قلائد العقيان، ص ٦١٣.

(٢) قلائد العقيان، ص ٦١٣.

ومن أشياخ القاضي أبي الفضل عياض :
الفقيه الإمام الحافظ أبو بكر بن عطية^(١) رحمه الله .

قال صاحب القلائد فى حقه :

شيخ العلم وحامل لوائه، وحافظ حديث النبى ﷺ وكوكب سمائه،
شرح الله لتحفظه صدره، وطاول به عمره، مع كونه فى كل علم وافر
النصيب مياسراً بالمعلى والرقيب، رحل إلى المشرق لأداء الفرض، لابس برد
من العمر الغض، فروى وقيد، ولقى العلماء وأسند، وأبقى تلك المآثر
وخلد. نشأ فى نبتة كريمة، وأرزمة من الشرف غير مرومة، لم يزل فيها على
وجه الزمان أعلام علم، وأرباب مجد ضخم، قد قيدت مآثرهم الكتب،
وأطلعتهم التواريخ كالشهب، وما برح الفقيه أبو بكر يتسنى كواهل المعارف
وغواربها، ويقيد شوارد المعانى وغرائبها، لاستضلاعه بالأدب الذى أحكم
أصوله وفروعه، وعمر برهة من شببته ربوعه، وبرز فيه تبريز الجواد المستولى
على الأمد، وجلى عن نفسه به كما جلى الصقال عن النصل الفرد، وشاهد
ذلك ما أثبتته من نظمه الذى يروق جملة وتفصيلاً، ويقوم على قوة العارضة
دليلاً.

فمن ذلك قوله يحذر من خلطاء الزمان، وينبه على التحفظ من الإنسان
قال^(٢) :

كن بدئب صائدٍ مستأنساً وإذا أبصرت إنساناً ففرْ
إنما الإنسان بحر ماله ساحل فاحذره إياك الغرر
واجعل الناس كشخص واحد ثم كن من ذلك الشخص حذر

(١) قلائد العقيان، ج ٣ ص ٦٣٦، والغنية، ص ١٤٢ .

(٢) قلائد العقيان، ص ٦٣٨ .

وله فى الزهد^(١):

كم يراك الله تلهو معرضاً	أيها المطرود من باب الرضا
قد مضى عمر الصبا وانقضى	كم إلى كم أنت فى جهل الصبا
واستلذ الجفن أن يغمضاً	قم إذا الليل دجت ظلمته
واقرع السن على ما قد مضى	فضع الخد على الأرض ونح
	وقال فى هذا المعنى ^(٢) :

كم أما أدعى فلا أجيب	قلبي يا قلبي المعنى
لا أرعوى لا ولا أنيب	كم أتمادى على ضلال
يتوب غيرى ولا أتوب	ويلاه من سوء ما دهانى
دائى كما شاء الطبيب	وا أسفا كيف برء دائى
ما أنا من بابه قريب	لو كنت أدنو لكنت أشكو
وهكذا يبعد المريب	أبعدنى منه سوء فعلى
لمن أحلت به الذنوب	ما لى قدر وأى قدر
	وله فى المعنى أيضاً:

تلهيك فيه من القبيح فنونه	لا تجعل رمضان شهر فكاكة
حتى تكون تصومه وتصونه	واعلم بأنك لا تنال قبوله
	وله فى مثل ذلك:

وفى بصرى غص وفى مقولى صمت	إذا لم يكن فى السمع منى تصاون
---------------------------	-------------------------------

(١) قلائد العقيان، ص ٦٣٧.

(٢) قلائد العقيان، ص ٦٣٩.

فحظى إذن من صومى الجوع والظماً وإن قلت إني صمت يومى فما صمت
وله فى المعنى الأول^(١):

جفوت أنساناً كنت ألف وصلهم وما فى الجفا عند الضرورة من باس
بلوت فلم أحمد وأصبحت آيسا ولا شىء أشفى للنفوس من الياس
فلا عدلونى فى انقباضى فإننى رأيت جميع الشر فى خلطة الناس
وله يعاتب بعض أخوانه^(٢):

وكنْتُ أَظُنُّ أَنَّ جِبَالَ رِضْوَى تَزُولُ وَأَنْ وَدَّتْ لَا يَزُولُ
ولكن الأمور لها اضطراب وأحوال ابن آدم تستحيل
فإن يك بيننا وصل جميل وإلا فليكن هجر طويل
وأما شعره الذى اقتدحه من مرخ الشباب وعفاره، وكلامه الذى وشحه
بمآرب الغزل وأوطاره، فإنه أنسى إلى ما تناساه وتركه حين كساه العلم والورع
من ملابسه ما كساه. فمما وقع من ذلك قوله:

كيف السلو ولى حبيب هاجر قاسى الفؤاد يسومنى تعذيباً
لما درى أَنَّ الخيال مواصلى جعل السهاد على الجفون رقيباً
وله أيضاً رحمه الله^(٣):

يا من عهدى لديكِ ترعى أنا على عهدك الوثيق
إن شئتِ أن تسمعى غرامى من مخبر عالم صدوق
فاستخبرى قلبكِ المعنى يخبرك عن قلبى المشوق انتهى.

(١) قلائد العقيان، ص ٦٣٩.

(٢) قلائد العقيان، ص ٦٣٨.

(٣) قلائد العقيان، ص ٦٤٠.

ومن أشياخ القاضى أبى الفضل عياض رحمه الله :

الشيخ الإمام النحوى الأديب اللغوى أبو عبد الله بن محمد بن السيد -
بكسر السين - البطليوسى - بفتح الموحدة والطاء المهملة والتحتانية وسكون
اللام والواو - نزيل بلنسية^(١).

قال السيوطى فى الطبقات: كان عالما باللغات والآداب، متبحرا فيهما،
انتصب لإقراء علم النحو، واجتمع إليه الناس، وله يد فى العلوم القديمة.
ذكره فى قلائد العقيان وبالع فى وصفه.

وكان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة أولاد من أجمل الناس صورة:
رحمون وعزون وحسون فأولع بهم وقال فيهم:

أخفيت سقمى حتى كاد يخفينى وهمت فى حب عزون فعزوني
ثم ارحموني برحمون فإنَّ ظمئت نفسى إلى ريق حسون فحسونى
ثم خاف على نفسه فخرج من قرطبة.

صنف: شرح أدب الكتاب، شرح الموطأ، شرح سقط الزند، شرح
ديوان المتنبي، إصلاح الخلل الواقع فى الجمل، الحلل فى شرح أبيات الجمل،
المثلث، المسائل المنشورة فى النحو، وله كتاب «التنبية على الأسباب التى
أوجبت الاختلاف بين المسلمين فى رأيهم واعتقاداتهم» وهو كتاب عظيم. لم
يصنف مثله وغير ذلك. ولد سنة أربع وأربعين وأربع مئة، ومات فى رجب
سنة إحدى وعشرين وخمس مئة [بلنسية]^(٢).

(١) الغنية ص ١١٤.

(٢) التكملة من بغية الوعاة.

ومن شعره:

أخو العلم حى خالد بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ماش على الثرى يظن من الأحياء وهو عديم
ذُكر فى جمع الجوامع . انتهى كلام السيوطى فى الطبقات .

ترجمة ابن السيد البطليوسى

للفتح بن خاقان

ورأيت تأليفا بديعا للفتح صاحب القلائد والمطمح ، ضمنه التعريف بهذا الإمام ابن السيد خاصة ، وهأنا أوردته بجملته لغرابته وفصاحته وبلاغته ، وإن كان فيه بعض ما هو من قبيل الهزل ، الذى الإعراض عنه أولى ، وقد جرت عادة الأشياخ بذكر مثل ذلك ، وحسبك ما ذكره الإمام السيوطى آنفا فى حق ابن السيد . وقد اغتفر الناس المقامات مع ما فيها من سخييف المقالات ، والأعمال بالنيات .

قال ذو الوزارتين الكاتب أبو نصر الفتح بن عبيد الله المعروف بابن خاقان رحمه الله :

أما بعد حمد الله الذى جعل الليل لباسا ، وأزال عن قلوبنا شكا والتباسا ، وأرانا من الهدى منارا ، وجعل لنا من الشجر الأخضر نارا ، وخلقنا أطوارا ، وأطلع لنا شموسا وأقمارا ، تدل على حكمته ، ويستدل بها على مقدار نعمته .

والصلاة على نبيه الذى بعثنا من مرقد الضلالة ، وجلى عنا غياهب الجهالة ، فظهر الرشاد بعد احتجابه ، وتوارى الغى فى حجابهِ ﷺ تسليما .

فإنى لما فرغت من الكتاب الذى أبديت به للإحسان مبسما، وجعلته
لمحاسن الثناء موسما، وجلوت فيه أباكرا المفاخر وعونها، وخصصت به نكت
المآثر وعيونها، وشعشت فيه المحاسن وروقتها، وفتقت فيه كمائم البدائع
وشقققتها، حتى أتت أزهى من الحديقة، وأبهى من ملك النعمان بين الشقيقة،
يتمنى السحر أن يحلها، والعيون النجل أن تكحلها، فصارت به لأهل
الأندلس ألسن مفتخرة، وانتشرت لمعاليمهم عظام نخرة، ورأيت فيه فضل
الأواخر على الأوائل، وجريت به أمام سحبان وائل، وملكت بسببه كل قياد،
وتركت ورائى قس إياد، وكان لى فيه أمل ثنائى أن يجلى، وعدانى أن ينص
ويتلى، فطويته طى السجل، ولويته لى محيا الخجل، وتركته كالبدر فى
السرار، وأخفيته كما خفى فى الغمد ماضى الغرار، والخواطر تهيم به أعظم
هيم، وتستمطره استمطار المحل للديم، والنفوس تتشوف إليه تشوف الضال
للمرشد، والآذان تصيخ إليه إصاخة الناشد للمنشد، وأنا أجعل لقاحه حيالا،
ولا أريه طيف ولا خيالا، ثم خشيت أن يكسو الزمان جوهره عرضا، ويتخذ
الحدثان بدره عرضا، فتمحى من وجه الزمان غرته، وتسقط عن جبين الدهر
درته، ومالمح منه عنوان، ولا شيم منه ما فيه سلوان، فتذوب النفوس عليه
كمدا، وتحشى عيون الذكاء بعده رمدا، فرأيت أن أستخرج من أخباره خبراً
يدل عليه، دلالة اللفظ على المعنى، واللفظ على المعنى، وينبئ عنه إنباء
النسيم على الزهر، ويشير إليه إشارة الشاطئ إلى النهر.

ولما كان الفقيه الأجل أبو محمد عبد الله بن السيد - أدام الله علوه -
تاج مفرقه، وهلال أفقه، ومهب نفح صواره، ومحلى أنواره، ومجلى
أنجاده، وأغواره، وكنت قد أحكمت نسق أخباره وسردها، وفوفت مطرفها
وبردها، وأطلقتها قمرا، وجعلتها سمرا، إذ هو أزرع علمائنا بحرا،
وأوسعهم نحرا، وأحسنهم خواطر، وأسكبهم مواطر، وأسيرهم أمثالا،

وأعدمهم مثالا، وأصدقهم لسانا، وأعمهم إحسانا، وأرفعهم راية، وأبعدهم غاية، ومحاسنه أعذب جماما، وأصفى غماما، وأظهر إعجازا، وأحسن صدورا وأعجازا، رأيت أن أفرد كتابا فى أخباره، وأجرد ذبابا فى إعظامه وإكباره، ليبين به فضل من ضمته تصنيفى، ويعلم بأخباره ما أودعت فى تأليفى، ويرى أنه قطرة من غمام، ودرة من نظام، وصبح يدل على نهار، ونفح صدر عن حقائق وأزهار.

والله المولى العون، والكيل بالكلاءة والصون، لا رب غيره.

الفقيه الحافظ الإمام الأوحى أبو محمد هو عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى، وشلب بيضته، ومنها كانت حركة أبيه ونهضته، وفيها كان قرارهم ومنها نم أسهم وعرارهم، ونسب إلى بطليوس، لمولده بها، ومن حيث كان فقد طبق الأرض علما وملاها ذكاء وفهما.

وأنا أقول: لو أنَّ للأيام ألسنا ناطقة، وأوصافا متناسقة، تردد فنون بيانها، كالطير ترجع على أفنانها، ما جرت إلى إنصافه، ولا درت بعض أوصافه، ولو أنى أمددت ببيان سحبان، وأيدت تأييد لسان حسان، وأعارنى ابن صوحان الفصاحة، وعلمنى خالد بن صفوان إيضاحه، لما أعربت عن مقداره الرفيع، ولا أغربت بما أنحره له من التعظيم والترفيح، فكيف بلسان قد فل غراره، وبنان قد ذوى رنده وعراره، وخاطر قد ارتقى فى لجج الأخطار، ووخز بأطراف القنا الخطار، فما تذلل له عصى إحسانه، ولا تحل النوائب عقدة لسانه، فحسبى أن أقتصر من وصفه على لمحة، وأعطر من عرفه بنفحة، فأقول^(١):

إنَّه ضارب قداح العلوم ومجيلها، وغرة أيامنا البهيمة وتحجيلها لو أدركه قيس لما قضى للحلم وترا ولا شفعا، ولو عاصره ابن العاصى لما ادعى

(١) الغنية ص ١١٤.

ضرا ولا نفعا، حلب الدهر أشطره، وتلا حروفه وأسطره، وخذم الرياسات، وعلم طرق السياسات، ونفق وكسد، ووقف وتوسد. وهو اليوم شيخ المعارف وإمامها، ومن فى يديه مقودها وزمامها، لديه تنشيد ضوال الأعراب، وتوجد شوارذ اللغات والإعراب، إلى مقطع دمث، ومنزع فى النفاسة غير منتكث، وندى خرق به العوائد، وأورق فى يد الرائد وعفاف كف، حتى عن الطيف، وحكى المحرمين بالخيف، ولقد نزلت منه بالتقى الطاهر، ولقيت منه ما لقي عوف بن محلم من ابن طاهر، ورأيت نار مكارمه تتألق، وبت كأثما على النار الندى والمخلق، وله تحقيق بالعلوم الحديثة والقديمة، وتصرف فى طرقها المستقيمة، ما خرج بمعرفتها عن مضمار شرع، ولا نكب عن أصل للسنة ولا فرع. وتوالت فى الشروحات وغيرها صنوف، وهى اليوم فى آذان الأيام شنوف. فمنها «المقتبس فى شرح موطأ مالك بن أنس»، و«الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب». وكتاب «التنبيه على السبب الموجب لاختلاف العلماء فى اعتقاداتهم وآرائهم وسائر أغراضهم وأبحاثهم» وغير ذلك مما يشتمل عليه هذا الموضوع ويخفيه، ويوقف على تفسيره فيه.

وقد أثبت من محاسنه التى تدور جريالا، ويسيل الخبر بقصتها نيالا، ما ينشئ ويسكر، ويحمده الوسمى المبكر.

فمن ذلك^(١) أنه حضر مع القادر بالله بن ذى النون بمجلس الناعورة بطليطلة، فى المنية المتناهية البهاء والإشراق، المباهية لزوراء العراق، التى ينفج شذاها العطر، ويكاد من الغضارة يمطر، والقادر بالله رحمه الله قد التحف الوتار وارتهاه، وحكم العقار فى جوده ونده، والمجلس يشرق كالشمس فى

(١) نفح الطيب ١/ ٦٤٤.

الحمل، ومن حواه يبتهج كالنفس عند منال الأمل، والزهر عبق، وعلى ماء
النهر مصطبج ومغتبق، والدولاب يئن كناقاة إثر حوار، أو كثكلى من حر
الأوار، والجو قد عنبرته أنواؤه، والروض قد بللته أنداءه، والأسد قد فغرت
أفواهها، ومجت أمواهها، فقال - رحمه الله - يصف الحال^(١):

يا منظرا إن رمقت بهجته أذكرنى حسن جنة الخلد
تربة مسك وجو عنبر وغيم ند وطش ما ورد
والماء كاللازورد قد نظمت فيه اللآلى فواغر الأسد
كأنما جائل الحباب به يلعب فى حافتيه بالنرد
تراه يزهى إذا يحل به الـ قادر زهو الكعاب بالعقد
تخاله إن بدا به قمرا تما بدا فى مطالع السعد
كأنما ألبست حدائقه ما حاز من شيمة ومن مجد
كأنما جادها فَرَوْضَها بوابل من يمينه رغد
لا زال فى عزة مضاعفة ميمم الرفد وارى الزند
وله يصف فرسا وهو مما أبدع فى التمثيل له والتشبيه، ونبه خاطره فيه
أحسن تنبيه، وخلع عليه شيات لاحق والوجيه، وعمه بالمحاسن وتوج،
ونسبة إلى الخاطر وأعوج:

وأقب من آل الوجيه ولاحف قيد العيون وغاية التمثل
ملك النواظر والقلوب بحسنه فمتى ترق العين فيه تسهل

(١) نفح الطيب ج ١ ص ٦٤٤.

ذو منخر رحب وزور ضيق وسماوة خضب وأرض محل
قصرت له تسع وطالت أربع وصفت ثلاث منه للمتأمل
وتراه أحيانا لعزة نفسه يرنو بلا قبل بعين الأقبل
وكأنما سال الظلام بمتنه وبدا الصبح بوجهه المتهلل
وكان راكبه على ظهر الصبا من سرعة أو فوق ظهر الشمال
وله يصف فرسا للظافر عبد الرحمن بن عبيد الله بن ذى النون رحمه

الله :

وأدهم من آل الوجيه ولاحق له الليل لون والصبح حجل
تحير ماء الحسن فوق أديمه فلولاً التهاب الخصر ظل يسيل
كان هلال الفطر لاح بوجهه فأعيننا شوقاً إليه تميل
كان الرياح العاصفات تقله إذا ابتل منه محزم وتليل
إذا الظافر الميمون فى متنه علا بدا الزهو فى العطفين منه يجول
فمن رام تشبيها له قال موجزا وإن كان وصف الحسن منه يطول
هو الفلك الدوار فى سهواته لبدر الدياجى مطلع وأفول

وما أبدع قوله فى وصف الراح، والحض على النبذ للهموم والأطراح،
بمعاطة كئوسها، وموالاة تأنيسها؛ ومعاقرة دنانها، واهتصار ثمار الفتوة
وأفنانها؛ والإعراض عن الأيام وأنكادها، والجري فى ميدان الصبوة إلى أبعد
آمادها:

سل الهموم إذا نبا زمن بمدامة صفراء كالذهب^(١)
 مزجت فمن در على ذهب طاف ومن حبيب على لهب
 وكأن ساقياها يثير شذا مسك لدى الأقوام متتهب
 والله هو^(٢)! فقد ندب إلى المندوب، وذهب إلى مداواة القلوب، من
 الندوب، وإبرائها من الآلام، وإهدائها كل تحية وسلام، وإبهاجها بأصال
 وبُكر، وعلاجها من هموم وفكر، فى زمن حلى عاطله، وجلى فى أحسن
 الصور باطله، ونفقت محالاته، وطبقت أرضه وسماءه استحالاته، فليثه
 كأسد^(٢)، وذئبه مستأسد، وأحفائه^(٣) تنمر، وبغاثة قد استنسر، فلا استراحة
 إلا فى معاطاة حميا، ومؤاخاة وسيم المحيا.

وقد كان ابن عمار ذهب مذهبه، وفضضه بالإبداع وذهبه، حين دخل
 سرقسطة ورأى غباوة أهلها، وتكاثف جهلها، وشاهد منها من لا يعلم معنى
 ولا فصلا، وواصل من لا يعرف قطعا ولا وصلا، فأقبل على راحة
 يتعاطاها، وعكف عليها ما تعداها ولا تخطاها، حتى بلغه أنهم نقموا معاقرة
 للعقار، وجالت ألسنتهم فى توبيخه مجال ذى الفقار، فقال:

نقمتم على الراح أدمن شربها وقلتم فتى راح وليس فتى مجد^(٤)
 ومن ذا الذى قاد الجياد إلى الوغى سوى من أعطى الكثير ولم يكد
 فديتكم لم تفهوا السر إنما قليتكم جهدى فأبعدتم جهدى

(١) نفح الطيب ج ١ ص ٦٤٥.

(٢) نفح الطيب ج ١ ص ٦٤٦، وتحرف «فليثه أسد» فى المطبوع إلى: «فليبيه كاسد».

(٣) تحرف فى المطبوع إلى: «أحفاشه». والحفاث تحدث عنه الجاحظ فى الحيوان (٤: ١٤٧)

فقال: «وفى البادية حية يُقال لها الحفاث... ولها وعيد منكر ونفخ وإظهار للصولة
 وليس وراء ذلك شئ».

(٤) نفح الطيب ج ١ ص ٦٤٦.

ودعى^(١) ليلة إلى مجلس قد احتشد فيه الأنس والطرب، وقرع السرور
نبعه بالغرب، ولاحت نجوم أكواسه، وفاح نسيم رنده وآسه، وأبدت صدور
أباريقه أسرارها، وضمت عليه المجالس أزرارها، والراح يديرها أهيف
وأوظف، والأمانى تجنى وتقطف، فقال:

يا رب ليل قد هتكت حجابها بمدامة وقادة كالكوكب^(٢)
يسعى بها أحوى الجفون كأنها من خده ورضاب فيه الأثنب
بدران: بدر قد أمنت غروبه يسعى ببدر جانح للمغرب
فإذا نعمت برشف بدر غارب فانعم برشفة طالع لم يغرب
حتى ترى زهر النجوم كأنها حول المجرة ربرب فى مشرب
والليل منحفز يطير غرابه والصبح يطرده بياز أشهب

وقال يمدح بعض الأعيان، وهى قصيدة اشتملت على المحاسن اشتمال
الليل، وانفردت بالمحاسن انفراد سهيل، ودرت فيها أخلاف الإبداع، وزرت
عليها جيوب الانقطاع، وأفصح لسان الإحسان، وسح عليها عنان الافتنان،
فجاءت بالإغراب محفوفة، ولاحت كالخريدة المزفوفة.

وسمعت السيئ الاعتقاد، الغبى الفهم والانتقاد، الكافر الملحد، النافر
لمن يعظم الله ويوحد، الذى ما نطق متشرعا، ولا رمق متورعا، ولا أقر
بباريه، ولا قر عن جريه فى ميدان الغى وتباريه، يدعى مدحه ويقول: إِنَّه
إليه بعث نفحها، وإنه الذى افتض عذرتها، وقطف زهرتها. وحاشا لقائلها

(١) نفح الطيب ج ١ ص ٦٤٦.

(٢) نفح الطيب ج ١ ص ٦٤٦.

أن يمدح بها المذموم وينضح بكوثرها نفح سموم، أو يشرف بها وضيعا،
ويرضع ثديها من غدا للؤم رضيعا وهى :

لما بان منى ما تجن الأضالع	أما إنه لولا الدموع الهوامع
وهاجت لى الشوق الديار البلاقع	وكم هتكت ستر الهوى أعين المها
تلظى الحشا وارفض منى المدامع	خليلى مالى كلما لاح بارق
أم المزن فى جفنى بالودق هامع	هل الأفق فى جنبى بالبرق لامع
وفى الخد من ماء الشئون مرابع	ففى القلب من نار الشجون مصايف
هو البدر أو بدر الدجى منه طالع	وما هاج هذا الشوق إلا مهفهف
وإن لاح يوما فالجيوب مطالع	إذا غاب يوما فالقلوب مغارب
بخديه من فتك الجفون وقائع	يضرع خديه الحياء كأنما
بسهم غدا من مهجتى وهو وادع	رمانى عن قوس المحاجر لحظه
ولكنه ما حم لا بد واقع	وما زلت من ألحاظه متوقيا
إلى قلبه من قسوة الهجر شافع	يرق فتور اللحظ منه كأنه
فحاكت لى الأحباب منه الطبائع	كما رق بالآداب طبع محمد
سجايأ أيام السرور الرواجع	رخيم حواشى الطرف حلو كأنما

تنافسها زهر النجوم الطوالع	أبا بكر استوفيت زهر محاسن
ينير فتعشى البارقات اللوامع	قدحت زنادا من ذكائك لم يزل

وما ذلك عن نيل لذيكَ رجوته فيصدق ظن أو يكذب طامع
ولا أنا ممن يرتضى الشعر خطة فتجذبه نحو الملوك المطالع
ولكن قلبا بين جنبى قد غدا يجاذبنى فيك الهوى وينازع
طوى لك من محض الوداد كمائنا تبدت لها فوق اللسان طلائع
أزعم فى نظم البديع ولم يزل لك السبق فيه والورى لك تابع
وأى مقال لى وقولك سائر وأى بديع لى ومنك البدائع
وقال يتغزل، وتصرف فيه تصرف غيلان مى، ووصف كل حواء وحى،
وذكر العشق، وارتاد الإبداع، حتى عدا به مصره، فأجاد معانيه، وأشاد
مبانيه :

تأوبه من همه ما تأوبا فبات على جمر الأسى متقلبا
مرت مزن عينيه غداة تحملوا عواصف ريح الشوق حتى تصبى
دموع هتكن الستر عن مضمير الجوى وأبدى من سر الهوى ما تغيبا
خليلى مالى كلما لاح بارق تذكرت برقا بالعقيق وزينبا
أونس بالنائين نوما مشردا وأطمع بالثاوين قلبا معذبا
ومن لى برد الخل إذ جدت النوى به وبوصل الحبل أن يتقضبا
أفى كل حين أمترى غرب مقلة أبى الوجد إلا أن تجود فتغربا
إذا عن لى ظبى بوجرة شادن تذكرت من عنى الفؤاد وعذبا
وأرتاح للأرواح من نحو أرضها وتثنى عنان للصبا نفحة الصبا

ولولا التهاب الشوق بين جوانحي	لأمرع خدى بالدموع وأعشبا
ألا قاتل الله الهوى كيف قادنى	إلى مصرعى طوعا وقد كنت مصعبا
وما كنت أخشى أن أبیت معذبا	بعذب رضاب من حمى الثغر أشنبا
وخذ ألقى دون شم رياضه	من اللحظ هنديا وللصدغ عقربا
أجدك لم تبصر تألق بارق	يجد نشاطا فى ذرى الأفق أهذا
إذا ما بدا فى الجو أحمر ساطعا	حسبت الظلام أبنوسا مذهبا
كأن رياض الحوَّ غب سمائه	تردين وشى العبقري المخلبا
كأن الشقيق والفجر ساطع	خدود زهاها الحسن أن تتقبا
تمتع بريعان الشباب وظله	فلا بد يوما أن يينا ويذهبا
فما العيش إلا أن تروح وتغتدى	محبا براه سقمه أو محبا

* * *

وكتب إلى الكاتب أبى الحسن راشد يستدعيه إلى مجلس قد لاحت
شموس مدامه، وارتاحت نفوس ندامه، وتأودت تأود الغصون قدود خدامه:

عندى مشكود من الخمر مبق
فيه منى مصطبح ومغتبِق
يحكى شذا المسك إذا المسك فتق
كأنه من خلقتك الحلو خلق
كأنما كئوسه تحت الغسق

فى راحة الساقى نجوم تأتلق
تخالها وهى تلظى كالحرق
أحشاء صب ملئت من الحرق
ترى لدى المزج إذا الماء اندفق
فيها حبابا لاح كالدر النسق
وأنت أنسى والمفدى بالحدق
فاطلع طلوع القمر التم اتسق
فى يومنا هذا إذا الظهر نطق
يا راشدا إذا دجى الغى غسق
وماجدا حاز فى السبق السبق
لله معنى طابق اسما لك حق
توافقا فيك إذا الاسم اتفق

فراجعہ راشد:

لبيك من داع إلى العيش الغدق
فى سجسج من ظله غض الورق
ندير صفو الراح صرفا قد عتق
وشبهها لونا وطعما وعبق
وكان يجلى فى ملاء من فلق

تحسده من حسنه بيض السرق
ثم كساه السهد ثوبا من شفق
بل من إياة الشمس من غير رنق
كأنه من خد من أهوى استرق
كأنه بريقه العذب فتق
فجاء يشفى من جوى ومن حرق
أحلى من الأمن أتى بعد الفرق
رضيته مصطحبا ومغتبِق
على رياض أدب ذات أنق
أجين ما أهوى وأذهبن القلق
عند فتى ندب عبرى الخلق
مؤتزر بالمكرمات متطق
إن قال قدسدت الورى قيل صدق

وقال يصف مجلس أنس وتصرف فى وصفه سقاته، وإقبال الصبح
لميقاته، ومدح الراح بأحسن أسمائها، وطلوع الفجر هازما لدجى ليلتهم
وظلمائها، وإيقاظ أصحابه من نومهم، وترغيبه لهم فى اصطباح يومهم:

صاح نبه كل صاح يصطحب فضلة الزق الذى كان اغتبق
قهوة تحكى الذى فى أضلعى من جوى الحب ومن لفح الحرق

بيدى ساق ترى فى طوقه	بدر تم فى تجلى فى غسق
خلتها إذ غربت فى ثغره	شمسها أبقت بخديه شفق
أفرغ الماء عليها فحكت	ذائب الإبريز أو ذوب ورق
إن مسك الليل قد أعقبه	من سنى الإصباح كافور عبق
فكان الفجر عين تفجرت	وكان الليل زنجى غرق
وكان الأنجم الزهر مها	راعه السرحان صباحا فافترق

وقال فى الزهد، وهو غرض قد أكثر القول فيه، والضراعة لباريه؛
وراش أنواعه وبرى، وجلب فنونه ومرى؛ وذلك مما يدل على ورعه، وصفاء
منهله فى التقى ومشرعه؛ فكثيرا ما يعلن به ويسر، ويطلع على لسانه متمما
ولا يَسْتَسِر^(١):

إلهى إنى شاكر لك حامد	وإنى لساع فى رضاك وجاهد
وإنك مهما زلت النعل بالفتى	على العائد التواب بالعفو عائد
تباعدت مجدا وادنيت تعظفا	وحلما فأنت المدنى المتباعد
ومالى على شىء سواك معول	إذا دهمتني المضلات الشدائد
أغيرك أدعو لى إلهها وخالقا	وقد أوضح البرهان أنك واحد
وقدما دعا قوم سواك فلم يقم	على ذاك برهان ولا لاح شاهد
وبالفلك الدوار قد ضل معشر	وللنيرات السبع داع وساجد
وللعقل عباد وللنفس شيعة	وكلهم عن منهج الحق حائد

(١) قلائد العقيان، ص ٧١٧.

وكيف يضل القصد ذو العلم والنهى ونهج الهدى من كان نحوك قاصد
وهل فى التى طاعوا لها وتعبدوا لأمرك عاص أو لحقك جاحد
وهل يوجد المعلول من غير علة إذا صح فكر أو رأى الرشد راشد
وهل غبت عن شىء فينكر منكر وجودك أم لم تبد منك الشواهد
وفى كل معبود سواك دلائل من الصنع تنبى أنه لك عابد
وكل وجود عن وجودك كائن فواجد أصناف الورى لك واجد
سرت منك فيها وحدة لو منعها لأصبحت الأشياء وهى بوائد
ومولك فى خلق الورى من دلائل يراها الفتى فى نفسه ويشاهد
كفى مكذبا للجاحدين نفوسهم تخاصم إن أنكروا وتعانند

وقال يمدح الظافر عبد الرحمن بن عبيد الله بن ذى النون، وهو مدح
طابق الممدوح، ووصف شاكله كالروض والغمام السفوح؛ فنظم الدر بأبهى
جيد، وقلد الفخر أعلى مجيد؛ ووضع العلق فى يدى مميزه، وأجرى الجواد
فى ميدان مجوزه؛ لم يحمل إلى غير موضع نفاق، ولا شام به مخيلة ذات
إخفاق؛ فإنه كان أندى من الغيث، وأمضى من الليث؛ وأذكى من الحسام،
وأبهى من البدر ليلة التمام؛ حتى خاض هولا لم يسر فيه إلى صبح، وسلك
شعبا لم ينش منه بريح؛ فصافح المنايا، وطلع له غير معهود الثنايا؛ والشعر
قوله:

لعلكم بعد التجنب والهجر تديلون من بعد وتشفون من ضر

فإن الذى غادرتم بين أضلعى
ولم تنبكم عنى النوى غير أنكم
ومن عجب أنى أسائل عنكم
وأستعطف الأيام فيكم لعلها
وأطمع منها فى الوصال ولم أزل
ويوحشنى الزمان لنأيكم
ولم أنس إذ صدت كما صد شادن
تميس كما ماس القضيب على القنا
وما زلت صبا بالغوانى تصيدنى
وعندى أحشاء ملئن صبا
ولوعة وجد ما تفيق وظمأة
وكم فى كناس السمهرية من رشا
وأهيف يثنيه النسيم إذا جرى
وساحرة الألفاظ لو أنها دعت
حسرت القناع الستر فيها ولم يكن
ولله ليل باللوى أبعد الجوى
فما شئت من شكوى أرق من الهوى
سرت لم تمس الطيب عجباً بحسنها

يزيد مر الزمان ويستشْرِى
رحلتكم من الجفن القريح إلى الفكر
ومنزلكم بين الجوانح والصدر
تعيد الليالى السابقات كما أدرى
عليما بما يؤثر من شيم الغدر
وإن كنت مأنوس الجوانح بالذكر
غريز من الربعى أوجس من دعر
وترنو كما أغضى الشريف من السكر
ذوات الثنايا الغر والأوجه الزهر
كألحاط أجفان ملئن من السحر
لأشنب معسول اللمى طيب النشر
أغن يقيم العذر فى الخلع للعذر
فلو شاء من لين تختم فى الخصر
بنغمتها ميتا للبي من القبر
يطيب النوى يوما لمن دان بالستر
وقرب نحرا من مشوق إلى نحر
وما شئت من نجوى ألد من الخمر
وقد أفعمت عرض البسيطة بالعطر

فقلت: عبيد الله أو نجله سرى
كأن ضياء الصبح فى الليل إذ سرى
كأن مها فى الأفق ريعت وقد بدا
كأن سنى الشمس المنيرة إذ بدا
وإلا فوجه الظافر الملك انجلى
عجبت لأيام تداعت خطبها
ولم تدر أنى فى حمى الظافر الرضا
حللت جنابا منه مَدَّ ظلاله
جناب بكت فيه غمام جوده
وكم نلت مذ أصبحت ألثم كفه
لدى ملك ما لاح ضوء جبينه
ومتقد الآراء جال فى الوغى
ولولا اضطرام البأس فيه غدا القنا
أرى عابد الرحمن رحمة من قست
وكعبة آمال كثيرا حجيجها
له من حجاه بالسماحة أمر
فتى لم يشمر قط إلا عنا له
ولم يعترك بخل بميدان عدله
فذكرنى دارين أو بت بالشحر
بصيرة إيمان سرت فى عمى كفر
لها ذنوب السرحان من وضح الفجر
كسا ورق الإصباح ذوبا من التبر
فجلى ظلام النقع فى الجحفل المجر
لثلم من غربى وتقذح فى وفرى
أرد العدى عنى بصمصامتى عمرو
على وأعطانى أمانا من الدهر
فأضحكن روض المجد عن زهر الشكر
ييمناه من يمن ويسراه من يسر
بجنح الدجى إلا كفى مطلع البدر
بخاطره أغنى عن البيض والسمر
براحته يهتز بالورق الخضر
عليه الليالى أمن من ريع بالفقر
لها حرم فيه مشاعر للشعر
ومن حلمه ناه عن اللغو والهجر
عداه وساق الحرب مسيلة الأزر
وجدواه إلا فاز جدواه بالنصر

أبا عامر لا زلت للمجد عامرا	فإنك وسطى العقد فى عنق الفخر
وقمت العدا عنى برأفة ماجد	وغمر نوال سر إذ ساء ذا الغمر
وأوسعت نعمى ضقت ذرعا بحملها	فإن خففت عمرى لقد أثقلت ظهري
ولما ارتقت بى فى سمائك همتى	غذا أخصى فوق النعائم والنسر
فحييت شمس الملك فى فلك العلا	وشمتُ سحاب الجود فى بارق البشر
أيرجو ضلالا أن يناويك حاسد	وقد حزت خصل السبق وهو على الإثر
وأرسى عبيد الله بيتك فى العلا	وطنبه بين السماكين والغفر
وأصبحت كالمأمون تقفوا سبيله	كأنك موسى تقتفى أثر الخضر
وما علت صبرا حين قلدك العلا	وجاء بأمر من بدائعهم أمرى
فله ما شادوا وشدت من العلا	ولله ما حازوا وما حزت من ذكر
نظمت شتيت الملك بالعدل والتقى	وقمت بحق الله فى السر والجهر
وجاءك صوم إثر فطر قضيته	بحظين من سعد جزيل ومن أجر
وأدبر سقم عنك بشر جسمه	بإقبال نعمى واتصال من العمر
سيملا شكرى كل قطر تحله	بنشر ثناء عنك أذكى من العطر
وتبقى لكم بين الضلوع محبة	ألقى بها الرحمن فى موقف الحشر

وكتب إلى ذى الوزارتين أبى عيسى بن لبون:

قم نصطبح من قهوة بكر	حتى نرى صرعى من السكر
أنف تنساها الورى حتى	لم تجر فى بال ولا ذكر

فترى الدنان وما حوت منها كجوانح طويت على فكر
نفحت فقلت المسك أو ما قد أحيا أبو عيسى من الذكر
لا شيء يحكى طيبها إلا شيم عذاب منه أو شكرى
ما زلت أخبر من محاسنه قدما بعرف ليس بالنكر
وأحن نحو لقائك طربا كالطير إذ جنت إلى وكر
فالآن شاهدت الذى يحكى ولقيت فيه الفضل للشكر

وكان أبو عيسى ممن رأس وما شف، ووكدف جوده وما كف، وأعاد
سوق البدائع نافقة، ورفع الآمال راية من الندى خافقة، وأوردهم منها جوده
معينا، وزف لهم من مبراته أبكار وعونا، فلما بلغه قوله هذا وسمعه استنبله
واستبدعه؛ وأحضره إلى مجلس نام عنه الدهر وغفل، وقام لفرط أنسه
واحتفل؛ قد بانت صروفه، ودنت فى الزائرين قطوفه؛ وقال هلم بنا إلى
الاجتماع بمذهبك، والاستماع بما شئت ببراءة أدبك؛ فأقاموا يعملون كأسهم،
ويصلون إيناسهم؛ وباتوا ليلهم ما طرقهم نوم، ولا عداهم عن طيب اللذات
سوم.

ودخل سرقسطة أيام المستعين بالله وهى جنة الدنيا، وفتنة المحيا؛
ومنتهى الوصف وموقف السرور والقصف؛ ملك نير البشاشة، كثير
الهشاشة؛ وملك بهج الفناء، أرج الأرجاء؛ يروق المجتلى، ويفوق النجم
المعتلى؛ وحضرة منسابة الماء، منجابه السماء؛ يسم زهرها، وينساب نهرها؛
وتتفتح خمائلها، وتتضوع صباها وشمائلها؛ والحوادث لا تعترضها،
والكوارث لا تقترضها^(١)؛ ونازلها من عرس إلى موسم، وآملها متصل

(١) تقترضها: تنال منها.

بالأمانى ومتسم؛ فنزل منها فى مثل الخورنق والسدير، وتصرف فيها بين روضة وغدير؛ فلم يخف على المستعين اختلاله، ولم تخف لديه خلاله؛ فذكره معلماً به ومعرفاً، وأحضره منوها له ومشرفاً؛ وقد كان فر من ابن رزين، فرار السرور من نفس الحزين؛ وخلص من اعتقاله، خلوص السيف من صقاله؛ فقال يمدحه^(١):

هم سلبونى حسن صبرى إذ بانوا	بأقمار أطواق مطالعها بانُ
لئن غادرونى باللوى إنَّ مهجتى	مسايرة أظعانهم حيثما كانوا
سقى عهدهم بالخيف عهد غمائم	ينازعها مزن من الدمع هتان
أأحبابنا هل ذلك العهد راجع	وهل لى عندكم آخر الدهر سلوان
ولى مقلة عبرى وبين جوانحى	فؤاد إلى لقياكم الدهر حنان
تنكرت الدنيا لنا بعد بعدكم	وحفت بنا من معضل الخطب ألوان
أَنَاخَتْ بنا فى أرض شنتِ مَرِيَّةٍ	هواجس ظنَّ خُنَّ والظنَّ خوان
وشمنا بروقا للمواعيد أتعبت	نواظرها دهرًا، ولم يهم هتان
فسرنا وما نلوى على متعذر	إذا وطن أقصاك آوتك أوطان
ولا زاد إلّا ما انتشته من الصبا	أنوف وحازته من الماء أجفان
رحلنا سوام الحمد عنها لغيرها	فلا ماؤها صدّا ^(٢) ولا النبت سعدان
إلى ملك حاباه بالمجد يوسف	وشاد له البيت الرفيع سليمان
إلى مستعين بالإله مؤيد	له النصر حزب والمقادير أعوان

(١) نفح الطيب ج ١ ص ٦٤٧.

(٢) فى الاستدراكات والتصويبات هنا، أن فى المطبوع: «صدّا» هكذا بألف مقصورة، والصواب أنه ممدود هكذا «صداء» قلت: ما فى المطبوع هو الصواب وما فى التصويبات هو الخطأ والبحر من الطويل، وعلى رواية الاستدراكات ينكسر الوزن، وقد ورد على الصواب فى النفح.

جفتنا بلا جرم كأن مودة
ولو لم تفد منا سوى الشعر وحده
فكيف ولم نجعل بها الشعر مكسبا
ولا نحن ممن يرتضى الشعر خطة
ومن أوهمته غير ذاك ظنونه
خليلي من يعدى على زمن له
وهل رىء من قبلى غريق مدامع
وهل طرفت عين لمجد ولم تكن
فوجه ابن هود كلما أعرض الورى
فتى المجد فى بُردِيه بدر وضيغم
من النفر الشم الذى أكفهم
ليوث شرى ما زال منهم لدى الوغى
وهل فوق ما فد شاد مقتدر لهم
ألا ليس فخرى فى الورى غير فخرهم
فيا مستعينا مستعاناً لمن نبا
كسوتك من نظمي قلائد مفخر
وإن قصرت عما لبست فرما
معان حكت غنج الحسان كأننى

ثنى نحوها منها الأعنة شنان
لحق لنا بر عليه وإحسان
فيوجب للمكدى جفاء وحرمان
وإن قصرت عن شأونا فيه أعيان
فثم مجال للمقال وميدان
إذا ما قضى حيف على وعدوان
يفيض بعينيه الحيا وهو حران
لها مقلة من آل هود وإنسان
صحيفة إقبال لها البشر عنوان
وبحر وقدس ذو الهضاب وئهلان
غيوث ولكن الخواطر نيران
هزير ييمناه من السحر ثعبان
ومؤمن بالله لقياه إيمان
وإلا فإن الفخر زور وبهتان
به وطن يوما وعضته أزمان
يباهى بها جيد المعالى ويزدان
تجاور در فى النظام ومرجان
بهن حبيب أو بطليوس بغدادان

إذا غرست كفاك غرس مكارم بأرضى أجتك الشا منه أغصان

وكان عند وصوله إلى ابن رزين قد رفعه أرفع محل، وأنزله منزلة أهل
العقد والحل؛ وأطلعته في سمائه، وأقطعته ما شاء من نعمائه، وأورده أصفى
مناهل مائه، وأحضره مع خواص ندمائه؛ وكانت دولته موقف البيان،
ومقذف الأعيان؛ ومحصب جمار الآمال، وأعذب موارد الأجمال؛ لو لا
سطوته الباطشة، ونكباته البارية لسهام الرزء الرائشة؛ فقلما سلم منها مفاد
الأموال، ولا أحمد عقباه معه صاحب ولا وال؛ فأحمد هو أول أمره معه،
واستحسن مذهبه في جانبه ومنزعه؛ ولم يدر أن بعد ذلك الشهد شرب
علقم، وأن السم تحت لسان ذلك الأرقم؛ فقال رحمه الله يمدحه:

عسى عطفة من جفاني يعيدها	فتقضى لباناتي ويدنو بعيدها
فقد تعبت الأيام بعد عتابها	ويمحى بوصل الغانيات صدودها
وكم للصبأ عندي يد لست جاحدا	لها إن كفران الأيادي جحودها
ليالى أسرى فى ليالى غدائر	كواكبها حلّى المها وخدودها
وأهصر أغصان القدود فتشنى	على برمان النحور نهودها
فلله ليل بت فيه كأننى	بوجرة أغتال المها وأصيدها
أبيح ثغورا كالثغور ودونها	أسنة الحاظ قناها قدودها
تشابه منها ما حوته مباسم	عذاب ولبات يروق فريدها
فإن تك من تلك العقود ثغورها	وإلا فمن تلك الثغور عقودها

وحمراء حلاها المزاج فخلتها
بدت فى دلاص من حباب وأشرعت
فما برحت حتى كأن شروبها
ترى شربها جنح الظلام كأنهم
إذا أنكحوا من فضة الماء تبرها
كما أنكحوا البدر استقامت سعوده
فجاءا بعبد المَلِكِ للمَلِكِ كوكبا
رمى جنة الأعداء لما سموا لها
حلفت بعليا عابد الملك ذى اللها
لئن كان قد أبلت هذيل يد الردى
وإن رفعت كفاه قبة مفخر
فتى أحرز العليا، وحاز مدى الندى
سرى بارق من بشره غير خلب
وبوأنى من مجده فى مكانة
فيأيه المولى الذى أنا عبده
أصخ نحو حر الشعر من عبد أنعم
قواف تروق السامعين كأنما
حبتك العُلا حَقًّا بمثنى رياسة
ولولاك أضحت أرض شنت مرية

عقيلة خدر زين بالبدر جيدها
سنان انسكاب والكئوس جنودها
من السكر صرعى أنعستها حدودها
بها مصطلو نار يشب وقودها
أتى اللؤلؤ المكنون وهو وليدها
هذيل من الشمس استقامت سعودها
ليحمى سماء المجد ممن يكيدها
بشهب القنا حتى استشاط مريدها
وأيد له كالقطر جم عديدها
فإن علاه ليس يلى جديدها
فإن قنا عبد الملك عمودها
فما إن له من رتبة يستزيدها
إلى أرض آمالى فأورق عودها
سعود النجوم الزاهرات صعيدها
وقدما رجا طول الموالى عبيدها
بدائع ما زال منك يفيدها
تحلى سجايك الحسان قصيدها
بها اعترفت ساداتها ومسودها
مناخ خطوب لا ينادى وليدها

وما زلت يقظان الجفون لرعيها إذا أعين الأملاك طال هجودها
تكف الأذى عن أهلها وتحوطها وتبدي الأيادي فيهم وتعيدها

وقال يرثى الوزير الأجل، أبا عبد الملك بن عبد العزيز، وبنو عبد
العزيز بهذا الشرق، هم كانوا بدور غياهبه، وصدور مراتبه، وبحور مواهبه؛
نظمت فيهم المدائح، وعظمت منهم المنائح، ونفقت عندهم أقدار الأعلام،
وتدفقت لديهم بحار الكلام؛ وخدمتهم الدنيا وبنوها، وأمنتهم الأيام ولم
يأمنوها؛ فرقت جموعهم، وأخلت ربوعهم، ونشرت سلوكهم، ومزقت
ملكهم؛ وهدت مشيد بنائهم، واحتلت الحوادث في فنائهم؛ وبقي أبو عبد
الملك هذا آخرهم، فأحيا مفاخرهم؛ وكان بدر الأفق وشمسه، وروح هذا
القطر ونفسه؛ أبدى لذلك السنى لمعاً، وأعاد من تلك العلا جمعاً؛ إلى أن
دب إليه الحمام واستسر بدره بعد التمام؛ والقصيدة:

فؤادى قريح قد جفاه اضطباره ودمعى أبت إلا انسكابا غزاره
يسر الفتى بالعيش وهو مبيده ويغتر بالدنيا وما هى داره
وفى عبر الأيام للمرء واعظ إذا صح فيها فكره واعتباره
فلا تحسبن يا غافل الدهر صامتاً فأفصح شئ ليله ونهاره
أصخ لمناجات الزمان فإنه سيغنيك عن جهر المقال سراره
أدار على الماضين كأساً فكلهم أيحت مغانيه وأقوت دياره
ولم يحممهم من أن يسقوا بكأسهم تناوش أطراف القنا واشتجاره

وغالت أبا عبد الملك صروفه
 فأصبح مجفوراً وقد كان واصلاً
 ولم أنس إذ أودى الحمام بنفسه
 إذا رقات عيني استهلّت شئونها
 تجاوب هذى تلك عند بكائها
 كأن لم يكن كالمزن يرهّب صعقه
 ودوحة عزٍ يستظل بظلها
 أما وعلى مروان إن مصابه
 فلا شرب إلا قد تكدر صفوه
 فأى حياً للفضل أجلى غمامه
 خوى المجد من مروان وانهد طوده
 وما خلت أن الصبح يشرق بعده
 فيا طود عز زلزل الأرض هده
 هنئاً للحد ضم شلوك أن غدا
 ولم أر دراً قط أصدافه الثرى
 فيا بنى عبد العزيز وإن خلا
 ففيكم لهذا الصدع آس وجابر
 لكم شرف أرسى قواعد بيته
 وقد كان دهرًا لا يباح ذماره
 وأمسى قصيا وهو دان مزاره
 فلم يبق إلا فعله وادكاره
 لمأتم حزن قد أرن صواره
 كترجيع شول حين حنت عشاره
 عدو ويرجى فى المحول انهماره
 وروضاً من الآداب تجنى ثماره
 آثار أسمى تذكى على القلب ناره
 ولا نوم إلا قد تجافى غراره
 ونظم العلياء حان انتشاره
 وجد بجد المكرمات عثاره
 لعين وأنّ الروض يبقى اخضراره
 وبدر علا راع الأنام انكداره
 عميد الندى والمجد فيه قراره
 ولا بدر ثم فى التراب مغاره
 من المجد مغناه وهد مناره
 وإن كان صعباً أسوه وانجباره
 أبو بكر السرى إليكم نجاره

أجل وزير عطر الأرض ذكره وأخجل زهر النيرات فخاره
فلو كان للعلياء جيد ومعصم لأصبح منكم عقده وسواره

ومما يستغرب له ويستبدع، ويشاد بذكره ويسمع، ويعد مما ابتكر معناه
واخترع؛ قوله فى وصف طول الليل عليه، كابد منه ما عظم لديه.

ترى ليلنا شابت نواصيه كبراً كما شبت أم فى الجو روض بهار
كأن الليالى السبع فى الأفق جمعت ولا فصل فيها بينها لنهار

وحضر عند الظافر عبد الرحمن بن عبيد الله بن ذى النون، رحمه الله،
مجلساً رفعت فيه المنى لوائها، وخلعت عليه الشمس أضواءها، وزفت إليه
المسرات أبكارها، وفارقت إليه الطير أوكارها؛ فقال يصفه^(١):

ومجلس جم الملاهى أزهرها
ألذ فى الأجفان من طعم الكرى
لم تر عيني مثله ولا ترى
أنفس فى نفس وأبهى منظرا
إذا تردى وشييه المصورا
من حلوك صنعاء وحولك عبقرى
ونسج قرقوب ونسج تسترا

(١) نفح الطيب ج ١ ص ٦٥٠.

خلت الربيع الطلق فيه نورا
كأنما الإبريق حين قرقرا
قد أم لثم الكاس حين فغرا
وحشية ظلت تناغى جوذرا
ترضعه الدر ويرنو حذرا
كأنما مج عقيقاً أحمر
أوفت من رياه مسكاً أذفرا
أو عابد الرحمن يوماً ذكرا
فتم مسكاً ذكره وعنبرا
الظافر الملك الذى من ظفرا
بقربه نال العلاء الأكبر
لو أن كسرى راءه أو قيصرا
هلل إكباراً له وكبرا
تبدى سماء الملك منه قمرا
إذا حجاب المجد عنه سفرا
يأيها المنضى المطايا بالسرى
تبغى غمام الكرمات الممطرا

وقال رحمه الله :

يغلو لساني فيكم وما أفك
فاهرز به غضباً إذا هز فتك
قائمه قلبي والغم الحنك

وقال يتغزل أيام جرى في ميدان الصبا متهافتاً وأبدى له الجوى نفساً خافتاً؛ وهو من أبدع أنواع الاستعطاف، وأحسن من النور عند القطاف؛ خضع فيه لمحبوبه وذل، وهان له وابتذل؛ ورضى بما سامه من العذاب، وبذل نفسه في رشفة من ثناياه العذاب؛ وتشكى من جوره وحيفه، وبكى حتى من اجتتاب طيفه؛ واستدعى رضاه، وخلع ثوب التناسك ونضاه؛ ونحا في استلطافه أرق منحنى، وتصام عن قول من عدل ولحى؛ وهذا غرض من كواه الغرام، وسبيل من رام من الوصال ما رام؛ فما مع الهوى عز ولا صبر، وما هو إلا ذل أو قبر.

والقطعة :

أبا عامرٍ أنت الحبيب إلى قلبي وإن كنت دهرًا من عتابك في حرب
أتعرض حتى بالخيال لدى الكرى وتبخل حتى بالسلام مع الركب
كأنى أخو ذنبٍ يجازى بذنبه وما كان لى غير المودة من ذنب
فيا ساخطًا هل من رجوع إلى الرضا ويا نازحًا هل من سبيل إلى القرب
ويا جنة الفردوس هل ينقع الصدى^(١) بجريالك المختوم أو مائك العذب

(١) تحرف في سائر الأصول إلى: «يقطع العدا».

ويا بائئنا بان العزاء بيينه	فأصبحت مسلوب العزيمة والقلب
أذقنى بالعتبى جنى النحل منعماً	فإنك قد جرعتنى الصاب بالعتب
وكنت أرى الهجران أعظم حادثٍ	فقد صار عند البين من أصغر الخطب
أتركنى رهناً بأيدي حوادث	غدوت لها نهبا وما كنت بالنهب
سأجعل عيداً يوم عودك يغتدى	محياك فيه قبلة الهائم الصب
أقيم لواء الوصل فى حلة الصبا	به وأضحى بالصباة والكرب
لك القلب ما فيه لغيرك منزل	منحتكه فانزله بالسهل والرحب

* * *

وقال شاكياء مثل هذه الشكوى ، مخبراً بما يلقاه من البلوى :

خليلى هل تقضى لبانة هائم	أم الوجد والتبريح ضربة لازم
فإنى بما ألقى من الوجد مغرم	كسال قلبى بائح مثل كاتم
ولى عبرات يستهل غمامها	بخدى إذا لاحت بروق المباسم
كفى حزناً إنى أذوب صباةً	وأشكو الذى ألقى إلى غير راحم
وأرتع من خديه فى جنة المنى	ويصلى فؤادى من هواه بجاحم
تقضى الصبا واللهم إلا حشاشة	تجدد لى عهد الصبا المتقادم
كأنى لم أقطع بصبح وقهوة	زمانى ولم أنعم بأحور ناعم
ولابت فى ليل الغواية لائماً	له تحت استار الدجى وهو لاثمى
إذا ما أدار الكأس وهنا حسبته	يدير هلالاً طالعاً فى غمائم

أبا حسن إنى بودك معصم	فهل أنت يوماً من جفائك عاصمى
جعلتك فى نفسى وقلبى محكماً	لترضى فقد أصبحت أجور حاكم
أتظلمنى ودى وما زال فيكم	قَرِيعٌ عَلَى يُرْجَى لرد المظالم
وقد كان فص الفخر فى خنصر العلا	أبوك ووسطى فوق جيد المكارم
وكم ضم ظهر الأرض منكم وبطنها	بدور دجى من كل أشوس حازم
وأبلج فضفاض القميص حلالحل	طويل نجاد السيف ماضى العزائم
وما أذهلنى عن وداك غيبة	قدحت بها نار الأسى فى حيازمى
وكم لى فيها نحوكم من تحية	أحملها مرضى الرياح النواسم
إذا مر ذكر منك يوماً على فمى	توهمته مسكاً سرى فى خياشمى
دعانى إليك الشوق فاهتاج طائرى	ضحى بخوافٍ للهوى وقوادم
ولو إننى فى ملحدى ودعوتنى	للبتك من تحت الصعيد رمائمى
سأصفيك محض الود ما هبت الصبا	وما سجعت فى الأيك ورق الحمام

* * *

وقال أيضاً جارياً على عادته من التشبيب، وسالكاً جادته من الخضوع
للحبيب، إلا أنه اعتذر من الهوى فى المشيب، وأنكر أخلاق الشُّبَّان على
الشيب:

خليلى ما للريح أضحى نسيمها	يذكرنى ما قد مضى ونسيتُ
أبعد نذير الشيب إذ حل عارضى	صبوت بأحداق المها وسبيتُ
ولى سكن أغرى بى الحزن حسنه	جَرِءٌ عَلَى قتل المحب مقيتُ

تلاحظني العينان منه برحمةٍ فأحيا ويقسو قلبه فأموتُ
 فيا قمرًا أغرى بى النقص واكتسى كمالا ووافى سعه وشقيتُ
 ولت فرقى إذ ولت لهائمٍ سباه لَمَى كالشهد منك ولتُ
 وجودى ببرد الوصل يا جنة المنى فإنى بحرَّ الوجد منك صليتُ
 وكتب إليه الكاتب أبو الحسن راشد بن عريب يستدعيه إلى معاطاة
 قهوة، وساعات سلوة:

طربت إلى شمسية قد تروقت فأربت على الصهباء لونًا ورائحه
 فلو أنَّ فيها نقطة هندسيةً لبات بها فى ظلمة الليل بائحه
 فكن مسعدى يا من سجاياه لم تزل وأخلاقه تغنى عن المسك فائحه
 فأجابه رحمه الله:

طربت فأطربت الخليل إلى الذى طربت له فالنفس نحوك جانحه
 وكم أسكرتنا منك من غير قهوةٍ شمائل تغنينا عن المسك فائحه
 فلله أيام بقربك أسعدت غوادٍ علينا بالسرور ورائحه
 فساعاتى الطولى لديك قصيرة وصفقة كفى فى التجارة رابحه

وقال يصف كتابا ورد عليه من محبوب كان هجره، ووعدته فيه باللقاء
 وبشره:

نفسى فداء كتاب حاز كل منى جاء الرسول به من عند محبوبٍ
 مبشرًا أنَّ ذاك السخط عاد رضا وبدلت منه بعد بتقريب

حَسِبْتُهُ نَاطِرًا نَحْوَى بِنَاطِرِهِ وَمَهْدِيَا لِي مَا فِي فِيهِ مِنْ طِيبٍ
ظَلَلْتُ أَطْوِيهِ مِنْ وَجْدٍ وَأَنْشَرِهِ وَكَادَ يَلْبِيهِ تَقْبِيلِي وَتَقْلِيلِي
كَمْ قَبْلَةَ لِي فِي عَنَوَانِهِ عَذْبَت وَبَرَدَتْ بِالتَّلْطُظِ حَرَّ تَعْذِيبِ
كَأَنَّهُ حِينَ جَلَى الْحُزْنَ عَنْ خُلْدِي «قَمِيصُ يَوْسُفَ فِي أَجْفَانِ يَعْقُوبِ»
لَوْ كُلَّ مَا فِيهِ مِنْ مَوْعُودِهِ كَذِبًا شَفَى فَكَيْفَ بَوْعِدٍ غَيْرِ مَكْذُوبِ

وكتب إليه بعض إخوانه متمثلاً بقول القائل:

وَدَادَكُمْ كَالْوَرْدِ لَيْسَ بِدَائِمٍ وَلَا خَيْرَ فَيْمَنْ لَا يَدُومُ لَهُ عَهْدُ
وَوَدَى لَكُمْ كَالْأَسِّ حَسَنًا وَبَهْجَةً لَهُ خُضْرَةٌ تَبْقَى إِذَا ذَهَبَ الْوَرْدُ
فَرَاغَهُ بِهَذَا الشَّعْرِ:

لَعَمْرِي لَقَدْ شَرَفْتُ وَدَى بِثَلْبِهِ وَصِيرْتُ لِي فَضْلًا عَلَيْكَ وَمُفْخَرًا
صَدَقْتُ: وَدَادَ الْوَرْدَ رَطْبًا وَيَابَسًا وَمَاءٌ إِذَا عَصَرَ الْأَزَاهِرَ أَدْبَرًا
وَوَدَّكَ مِثْلَ الْأَسِّ لَيْسَ بِنَافِعٍ وَلَا نَافِعٍ إِلَّا إِذَا كَانَ أَحْضَرًا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْوَرْدَ يَكْرُمُ إِنْ ذَوَى وَيَطْرَحُ فِي الْمِيضَاءِ آسَ تَغِيرًا
أَفْضَلْتُ عَبْدَ السَّوِّءِ جَهْلًا عَلَى الَّذِي غَدَا فِي الْأَزَاهِيرِ الْأَمِيرَ الْمُؤْمَرًا

وكتاب إلى الكتاب أبي عبد الله بن أبي الخصال، يراجع عنه شعر

خاطبه به:

بحلى من علاه بها قد حبانى	بماذا أكافى ندبا كسانى
ما لم تقلد نحور الغوانى	وقلد جـيـدى من دره
معاراً وأضحت لديه المعانى	محاسن أصبح لى لفظها
فليس يباريه فى السبق ثانى	فقل للذى حاز حصل المدى
ت أهديتها أم تغور الحسان	أهذى شمائلك الزاهرا
على أفق بسماء البيان	أم الأنجم الزهر أطلعتها
ك أم الأعين الحور جاءت روانى	أم الوشى ما نمنمت راحتا
يسقيه من غير بنت الدنان	أم الروض بات نديم الغمام
ويشده من وعده بالأغانى	يضاحكه عن تغور البروق
غدا من فؤادك بأعلى مكان	تتن زف ودك نحوى لقد
خطوب فقد أحسنت بالتداني	ومهما أساءت بطول البعاد
إلى وأنت اعتذار الزمان	كأن الزمان أتى تائباً

ومن شعره الذى يزرى بزهر الرياض، وغنج الأعين المراض، قوله:

أيا مُمرضاً جسمى بأجفانه المرضى	سلبت الكرى عنى فهب منه لى البعض
ليهنك غمض العين عمن تركته	سمير نجوم الليل ما يطعم الغمضا
أتسخط من ذلى لعزك فى الهوى	وأرضى بخدى أن يكون لكم أرضا
قضى الله أن أشقى وغيرى بوصلكم	سعيد ومن يَسْطِيع ردا لما يقضى

ومما أغرب به وأبدع قطعة تنفك منها ست قطع وهى :
نفسى الفداء لجؤذر حلو اللوى مستحسن بصدوده أضنانى
فى فيه سمطا جوهر يروى الظما لو على بىروده أحيانى

ثم زاد فى غرابة هذا المنزع ، بأن صنع قطعة تنفك منها تسع قطع ،
وهى :

طيف سرى من خاطر القلب الذوى فوفى لنا بعداته وقضى الوطر
بذ الكرى عن ناظر الصب الجوى وشفى الضنى بهباته ومضى حذر

وقال يصف تينا أسود مكتّبا :

أهلا بتين كالنهود حوالك ضمخن مسكا شيب بالكافور
وكان ما زرت عليه جيوبها شهد يشاب بسمسم مقشور
وكأنما لبست لجينا محرقا فيه بقايا من بياض سطور

وقال يصف حماما :

أرى الحمام موعظة وذكرى لكل فتى أريب ذى ذكاء
يذكرنا عذاب ذوى المعاصى وأحيانا نعيم الأتقياء
شقا هجر يشوب نعيم وصل وحر النار فى برد الهواء

إذا ما أرضه التهبت بنار تبادر سـمكه هطلا بماء
كصدر الصب جاش بما يلاقى فلج الطرف منه بالبكاء
كأن له حبيبا بان عنه فبان وخانه حسن العزاء

ومن شعره المطرب وتغزله المعجب قوله:

أيا قمرا فى وجنتيه نعيم وبين ضلوعى من هواه جحيم
إلى كم أقاسى منك روعا وقسوة وصرما وسقما إن ذا لعظيم
وإنى لأنهى النفس عنك تجلدا وأزعم أنى بالسـلو زعيم
فإن خطرت بالقلب ذكراك خطرة ظَلِلْتُ بلا لب إليك أهيم

ومن مديحه الذى أبدع فيه وأغرب، وذهب فيه أحسن مذهب، قوله
يمدح القادر، رحمة الله عليه:

ضمان على عينيك أنى هائم تصدع قلبى حول وصلك حائم
فؤادك قاس ليس لى فى رحمة ويوهم منك اللحظ أنك راحم
ظلمت ولم ترهب مغبة ما جنت جفون لها فى العاشقين ملاحم
أظن عقاب الله نالك فى الهوى فخصرك مظلوم وردفك ظالم
ولحظك مضنى ما يفيق من الضنى كما ضنيت فيك الجسوم النواعم
وخذك بالألحاظ يجرح دائبا فكل له باللحظ مدم وكالم

يقولون غصن البان ما حاز خصره
وفى طوقه بدر الدجنة طالع
وقالوا اللمى المحمر فص عقيقه
لك المثل الأعلى وفى الجهل عاذر
وما أنت إلا آية الله فى الورى
لقد يخسوك الحق جهلا وأخطأت
كما بخسوا يحيى بن ذى النون حقه
وقالوا حكى الضرغام فى الروع بأسه
وقالوا هو الدهر الذى ليس دونه
وأنى لليث الغاب فى الروع بأسه
ومن أين للسيف الحسام مضأؤه
ومن أين للمزن الكنهور جوده
لنا بارق من بشره خلبا
عليه من المأمون يحيى مشابه
همامان شادا مجد له التقى
أبا الحسن استشق ثنائى فإنما
لبست حلى للفضل حائكها التقى
وأورثك المأمون صارمه الذى

ودعص النقا ما حاز منه المعاكم
تجلله قطع من الليل فاحم
ببسمه المعسول والثغر خاتم
بتقصيرهم إن لامهم فيك لائم
وحكمته إن قال بالعلم عالم
بما رجمت فيك الظنون الرواجم
فقالوا ابن سعدى فى النوال وحاتم
وذلك ما لا تدعيه الضراغم
حمى وهو المخدوم والدهر خادم
إذا صال فى الهيجاء والنقع قاتم
إذا انتضيت للحرب منه العزائم
إذا انهملت من راحتيه المكارم
إذا شامه يوما من الناس شائم
ترى ولإسماعيل فيه مياسم
أساس وأطراف الرماح دعائم
فؤادى دارين وشعرى لطائم
ومعلمها الإفضال والمجد راقم
به لم تزل تفرى الطلى والجماجم

فصمم ولا تحجم فإنك صارم حسام ومنه فى يد الله قائم
 لك السرحة الغناء فى المجد لم تزل تروضها من راحتك الغمام
 رياض لنا سجع بمدحك وسطها كأنا على أفنانهن حمام
 ودونك بكرا من ثنائى زففتها إليك كما زف الغوالى الكرائم
 كستك بطليوس بها عبقرية كما انشق عن زهر الرياض كمائم
 وما أنت ذو فقر لما أنا واصف ولا أنا ذو إفك بما أنا زاعم
 سجايك تملئ الفخر والدهر كاتب وعليك تعطى الدر والشعر ناظم
 قدم عامرا للمجد تعنو لك العدا وتحسدنا فيك النجوم النواجم
 قال أبو نصر: هذا ما سمح به خاطر لم تخطر عليه سلوة، وذهن ناب
 لم ترهف له نبوة، ووقت أضيق من المأزق المتدانى، ومقت للزمن شغلنى عن
 كل شىء وعدانى، أتجرع به الصاب وأتدرع منه الأوصاب، فما أتفرغ لإنشاء
 قول، ولا أصحو من الانتشاء من هول، وإلا فمحاسن هذا الرجل كانت أهلا
 أن يمتد عنانها، ويسكب عنانها، لكن عاق عن ذلك الدهر الذى شغل،
 وأوغلنا فى شعاب الأنكاد حيث وغل.

انتهى التأليف البارع.

ولا بد أن نذكر ما لأبى نصر من القلائد فى حق الرجل المذكور،
 وأختصر ما جرى ذكره هنا من النظم.

قال فى القلائد فى حق الشيخ ابن السيد المذكور ما نصه:

الفقيه الأستاذ أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطلوسى، شيخ المعارف وإمامها، ومن فى يده زمامها، لديه تشد ضوال الأعراب، وتوجد شوارد لغات الإعراب، إلى مقطع دمث، ومنزع فى النفاسة غير منتكث، وكان له فى دولة ابن رزين مجال ممتد، ومكان معتد، وكَمَّا رأى الأحوال واختلالها، والأقوال واعتلالها، وتلك الشמוש قد هوت، ونجوم الآمال قد خوت، أضرب عن مثواه، ونكب عن نجواه، واغترب بلوعة ابن رزين وجواه، ونصب نفسه لإقراء علوم النحو، وقنع بتغيم جوه بعد الصحو، وله تحقيق بالعلوم الحديثة والقديمة، وتصرف فى طرقها القويمة، ما خرج بمعرفتها عن مضممار مشرع، ولا نكب عن أصل للسنة ولا فرع، وتواليفه فى الشروحات وغيرها صنوف، وهى اليوم فى الآذان شنوف، وقد أثبت له ما يريك شفوفا، وتجد على النفس حفوفه^(١).

فمن ذلك قوله فى طول الليل:

ترى ليلنا البيتين وقد سبقا.

ثم قال الفتح: وأخبرنى أنه حضر مع المأمون بن ذى النون فى مجلس الناعورة بالمنية التى تطمح إليها المنى، ومرآها هو المقترح والمتمنى، والمأمون قد احتبى، وأفاض الحبا، والمجلس يروق كأن الشمس فى أفقه، والبدر كالتاج^(٢) فى مفرقه، والنور عبق، وعلى ماء النهر مصطبج ومغتبج، والدولاب يئن كناقاة إثر الحوار، أو كشكلى من حر الأوار، والجو قد عنبرته أنواؤه، والروض قد رشته أنداءه، والأسد قد فغرت أفواهها، ومجت أمواها فقال:

يا منظرًا إن نظرت بهجته الأبيات وقد تقدمت.

ثم قال الفتح: وله رقعة يصف بها هذا التصنيف يعنى قلائد العقيان:

(١) تحرف فى سائر الأصول إلى: «خفوفه» بالخاء المعجمة، وبهامش المطبوع: «كذا فى الأصول. وفى القلائد خفوفه، ولم نوفق إلى تصويبه». قلت: وما فى القلائد هو الصواب، وهو المثبت هنا، ويدعمه رواية القلائد فيما بعد: «لا عدمت شفوفا، ولا برح مكانك بالآمال محفوفاً».

(٢) القلائد ص ٧١٤ وما بين حاصرتين منه.

تأملت فسح الله لسيدى وولى فى أمد بقاءه، كتابه الذى شرع فى إنشائه، فرأيت كتابا سينجد ويغور، ويبلغ حيث لا تبلغ البدور، وتبين به الذرى والمناسم، وتغتدى له غرر فى أوجه ومواسم، فقد أسجد الله الكلام لكلامك، وجعل النيرات طوع أقلامك، فأنت تهدى بنجومها، وتردى برجومها، فالنثرة من نثر، والشعرى من شعرك، والبلغاء لك معترفون، وبين يديك متصرفون، وليس يباريك مبار، ولا يجاريك إلى الغاية مجار، إلا وقف حسيرا، وسبقت ودعى أخيرا، وتقدمت لا عدمت شفوفا، ولا برح مكانك بالآمال محفوفا، بعزة الله.

وله يراجع الأستاذ أبا محمد بن جوشن، عن شعر كتب به إليه وتضمن غزلا فى أول القصيدة فحذا حذوه^(١):

حلفت بثغر قد حمى ريقه العذبا	وسل عليه من لواظظه عضبا
وفرحة لقيا أذهبت ترحه النوى	وعتبى حبيب هاجر أعقت عتبا
لقد هز عطفى بالقريض ابن جوشن	سرورا كما هزت صبا غصنا رطبا
كسانى ارتياح الراح حتى حسبتنى	حليف بعاد نال من حبه قربا
وأطربنى حتى دعانى الورى فتى	وقالوا كبير بعد كبرته شبا
كأن المثانى والمثالث هيجت	سرورى ولم أسمع غناء ولا ضربا
فيا مز مع الترحال قل لابن جوشن	مقال محب لم يشب جده لعبا
أمهدى سجاياه إلى وناظما	لى الشهب عقدا راقنى نظمه عجا
وما خلت إهداء الشمائل ممكنا	لمهد وأن الدهر ينتظم الشهب

(١) القلائد ص ٧١٦.

فهل نال عبد الله من سحر بابل نصيباً فأربى أو حوى الدهى والإربا
 ليهنك فضل حزت من خصله المدى ونظم بديع قد غدوت له ربا
 وهاك سلاماً صادراً عن مودة عمرت بها منى الجوانح والقلبا

وله رحمه الله فى الزهد من لزوم ما لا يلزم:

أمرت إلهى بالمكارم كلها ولم ترضها إلا وأنت لها أهل
 فقلت اصفحوا عمن أساء إليكم وعودوا بحلم منكم إن بدا جهل
 فهل لجهول خاف صعب ذنوبه لديك أمان منك أو جانب سهل

وله رحمه الله يجيب شاعراً قرطيباً مدحه:

قل للذى غاص فى بحر من الفكر بذهنه فحوى ما شاء من درر
 لله عذراء زفت منك رائحة تختال من جبرها المرقوم فى حبر
 صدقها الصدق من ودى ومنزلها بصيرتى وسواد القلب لا بصرى
 كأنما خامرتنى من بشاشتها راح وسكر بلا راح ولا سكر
 هزت بدائعها عطفى من طرب لحسنها هزة المشغوف للذكر
 ما كنت أحسب أن النيرات غدت يصيدها شرك الأوهام والفكر
 ولا توهمت أيام الربيع ترى فى ناجر غضة الأنوار والزهر
 أما الجزاء فشىء لست مدركه ولو بدرت إلى التوجيه بالبدر
 لكن جزائى صفاء الود أضمره إذا القلوب انطوت منه على كدر

جارك ذهني في مضمارها فكبا ذهني وفزت بخصل السبق والظفر
وهل بطليوس في نظم مناظرة يوما لقرطبة في حكم ذي نظر
وله أيضاً رحمه الله يصف زربطانة ملغزا^(١):

وذات عمى لها طرف بصير إذا رمدت فأبصر ما تكون
لها من غيرها نفس معار وناظرها لذى الإبصار طين
وتبطش باليمين إذا أردنا وليس لها إذا بطشت يمين

وكتب إلى الأستاذ أبي الحسن بن الأخضر رحمه الله^(٢):

يا سيدى الأعلى، وعمادى الأسنى، وحسنة الزمان الحسنى، الذى جل
قدره، وسار مسير الشمس ذكره، ومن أطال الله بقاءه، لفضل يعلى مناره،
وعلم يحيى آثاره نحن - أعزك الله - نندانى إخلاصاً، وإن كنا نتناهى
أشخاصاً، ويجمعنا الأدب، وإن فرقنا النسب، فالأشكال أقارب، والآداب
مناسب، وليس يضر تنائى الأشباح، إذا تقاربت الأرواح، وما مثلنا فى هذا
الانتظام، إلا كما قال أبو تمام رحمه الله:

نسيبى فى رأى وعلمى ومذهبى وإن بإعدتنا فى الأصول المناسب
ولو لم يكن لمأثرك ذاكر، ولا لمفاخرك ناشر، إلا ذو الوزارتين أبو
فلان، أبقاء الله لقام لك مقام سحبان وائل، وأغناك عن قول قائل، فإنه يمد
فى مضمار ذكراك باعاً رحيباً، ويقوم بفخرى فى كل ناد خطيباً، حتى تنهى
إليه الأحداق، وتلوى نحوه الأعناق، فكيف وما يقول إلا بالذى علمت
سعد، وما تقرر فى النفوس من قبل ومن بعد، فذكرك قد أنجد وغار، ولم

(١) القلائد، ص ٧١٩.

(٢) القلائد، ص ٧٢٠.

يسر فلك حيث سار، وإن ليل جهل أطلعت فيه فجر تبصيرك، لجدير بأن
يصير نهاراً، وإن نبع فكر قدحته بتذكيرك لجدير أن يعود مرخا وعفاراً، فهنيئاً
لك الفضل الذى أنت فيه راسخ القدم، شامخ العلم، منشور اللواء، مشهور
الذكاء، ملئت الآداب عمرك، ولا عدمت الألباب ذكرك، ورقيت من مراتب
أعلاها، ولقيت من المآرب أقصاها، بفضل الله.

وكتب مراجعاً إلى الوزير أبى محمد بن سفيان^(١) رحمه الله:

يا سيدى الأعلى، وعمادى الأسنى، ومشرى الأصفى، ومن أدام الله
عزته، وحمى من النوائب حوزته، وافانى لك كتاب سرى الموضع، سنى
الموقع، أطال على إيجازه، وأطمع بعد إعجازه، وقابلت الرغبة التى ضمنيتها
فيه، بما تقتضيه جلاله مهديه، ولئن تراخى الكتاب عن حسن فى ذلك
العتاب، فإن المودة لم يقدح فيها من الملل قادح، ولم يسنح لها من الخلل
سانح، بل كانت كالبرد طوى على غره، إلى أوان جلالته ونشره، وقد علم
علام الضمائر، والذى يظن غائباً وهو حاضر، أنى أعتقدك القدح المعلى،
وأضرب بك المثل الأعلى، وأرى أنك تحجيل واضح فى دهمة الزمان، وعلق
راجع فى كفة الامتحان، وبقية سنخ كريم، ما عهدهم عنا بذيوم.

عليهم سلام الله ما ذر شارق ورحمة ما شاء أن يترحما

[وما أدعى لك جانباً من السيادة، إلا لك عليه أعدل الشهادة، ولكن

قديماً سفلاً ذو الرجحان، وعاد الكمال على أهله بالنقصان، وكبت الأعالى
بارتفاع الأسافل، حتى اقتضى ذلك قول القائل:

(١) القلائد، ص ٧٢١.

فوا عجباً كم يدعى الفضل ناقص ووا أسفاً كم يظهر النقص فاضل^(١)

وقال المذمر للناجحين متى ذمرت قلبي الأرجل

وقد جاريتك - أعزك الله - في ميدان من البلاغة أنا فيه كمن كثر
البحر والمطر، وجلب التمر إلى هجر، والذي حداني إليه، أنه مربى زمن
ألَّهَى خاطري عنك فيه وسن، فقلت قد كان من العقوق، ترك رعاية
الحقوق، فلاستمطرون مزن القول، فقد كنت عهدتها تسجم فتغدق،
ولأستسقين جابية الشيخ العراقي، فقد كانت تطم فتفهق أيام كنت أسحب
ذيل الشباب، وأسلك مسلك الكتاب، ويعجبني سلوك سهل الكلام وحزونه،
والتصرف بين أبكاره وعُونه، أستن استنان الطرف [الجامح، ولا أثنى عنان
الطرف]^(٢) الطامح، وأروى هامتي، وأقول بما صبت على غمامتي، إلى أن
تعمم مفرقي بالقتير، وعلتنى أبهة الكبير، وودعت زمنى الزائل، وعادت
سهامى بين رث وناصل، وعريت أفراس الصبا ورواحله، وسددت على
سوى قصد السبيل معادله، فلئن هريق [ماء]^(٢) الشباب واستشن الأديم،
وأقشع السحاب، وتجلت الغيوم فلعل في الأفق ربابة، وفي الحوض صباية،
وعسى أن يكون في أخلاف المقالة درٌّ يرضع، وفي حقايق البلاغ درٌّ يرضع،
ولأزفنها عذراء، لا ترتضى إلا الأكفاء، فليس يبين النجد إلا في مآزق
الهيحاء، ولا يحسن العقد إلا في عنق الحسناء، ولأجعلن الشعر لها شعاراً،
وفقر النثر لها دثاراً، فاهتصرها إليك ولَّهَى، عروباً، قد رضيت بك محباً
ومحبوباً فتضمخك بمسكها، وتؤمنك من فركها، وتذر ذرور الشمس عليك،
وتهز في ندوة الحى عطفيك، فإن قضت من حَقك فرضاً، ورتقت من فتق
الإخلال ولو بعضاً، فذاك ما تضمنه الخاطر الذى نمنم بردها، ونظم عقدها،

(١) ما بين الحاصرتين تكملة عن القلائد ص ٧٢٢.

(٢) التكملة عن القلائد، ص ٧٢٣.

وإنْ أخلف الظن ما أوهم ووعد، وقصر الذهن فيها أحكم وسدد، فللخاطر
عذر فى أنه منصل أغفل شحذه وجلأؤه، حتى ذهب فرنده وماؤه، ومنهل
ضيع ورده، فنضب عده:
والشوال ما حليت تدفق رسلها وتجف درتها إذا لم تحلب

وله من قصيدة يمدح بها ذا الوزارتين أبا محمد بن الفرج^(١):

لعب بدار الهوان بالإغماض	نبه الليل بالوجيف ولا تو
عنتريس وبازل شرراض	واقر ضيف الهموم كل أمون
مد ونقض الهموم بالإنقاض	أنقذتنى من الردى وطأتى البي
للفلا والرغاء كالإنباض	شكلها كالقسي وهى سهام
غمست من دجاء فى خضخاض	خلنها حين خاضت الليل سبحا
كرعت فى ماء الصباح المفاض	صدعت عرمض الدياجر حتى
قد سرى فى سواده ببياض	حين راع الظلام وخط مشيب

وقال فى الزهد^(٢):

تجوهرك الأدنى عنيت بحفظه وضيعت من جهل تجوهرك الأقصى
لقد بعت ما يبقى بما هو هالك وآثرت لو تدرى على فضلك النقصا

وقال فى ذلك أيضاً: وما دارانا إلاّ موات البيتين .

وقد تمثلت بهما فى خطبة هذا الكتاب فراجعهما .

وله أيضاً يعزى ذا الوزارتين أبا عيسى بن لبون فى أخيه:

(١) قلائد العقيان، ص ٧٢٤ .

(٢) قلائد العقيان، ص ٧٢٦ .

للمرء فى أيامه عبر
خرس الزمان لمن تأمله
نادى فأسمع لو وعت أذن
كم قال هبوا طالما هجعت
أَبْأَذِنٍ من هو مبصرى صمم
لولا عماكم عن هدى نذرى
هذى مصارع معشر هلكوا
ومنها:

قالت أرى ليل الشباب بدت
فأجبتها لا تكثرى عجبا
لكن طويت من الهموم لظى
ومنها:

حسنت شمائلكم وأوجهكم
والحسن فى صور النفوس وإن
لا ضعضت أيدى الخطوب لكم
وقال يخاطب مكة^(٢) أعزها الله:

أمكة تفديك النفوس الكرائم
وكفت أكف السوء عنك وبلغت
ولا برحت تنهل فيك الغمام
مناها قلوب كى تراك حوائم

(١) قلائد العقيان، ص ٧٢٧.

(٢) قلائد العقيان، ص ٧٢٩.

فإنك بيت الله والحرم الذى
 وقد رفعت منك القواعد بالتقى
 وساويت فى فضل المقام كلاكما
 ومن أين تعدوك الفضائل كلها
 ومبعث من ساد الورى وحوى العلا
 نبى حوى فضل النبیین واغتدى
 وفيك يمين الله يلثمها الورى
 وفيك لإبراهيم إذ وطئ الثرى
 دعا دعوة الصفا فأجابه
 فأعجب بدعوى لم تلج مسمعى فتى
 ألَهْفَى لأقدار عدت عنك همتى
 فيا ليت شعرى هل أرى فيك داعيا
 وهل تمحون عنى خطايا اقترفتها
 وهل لى من سقيا حجيجك شربة
 وهل لى فى أجر الملبين مقسم
 وكم زار مغناك المعظم مجرم
 ومن أين لا يضحى مرجيك آمنا
 لئن فاتتنى منك الذى أنا رائم
 لعزته ذل الملوك الأعاظم
 وشادتك أيد برة ومعاصم
 تنال به الزلفى وتحمى المآثم
 وفيك مقامان: الهدى والمعالم
 بمولده عبد الإله وهاشم
 لهم أول فى فضله وهو خاتم
 كما يلثم اليمنى من الملك لاثم
 ضحى قدم برهانها متقدام
 قطوف من الفج العميق وراسم
 ولم يعها إلا ذكى وعالم
 فلم تنهض منى إليك العزائم
 إذا ما دعت لله فيك الغمام
 خُطَى فيك لى أو يعملات رواسم
 ومن زمزم يروى بها النفس حائم
 إذا بذلت للناس فيك المقاسم
 فحطت به عنه الخطايا العظام
 وقد أمنت فيك المها والحمائم
 فإن هوى نفسى عليك لدائم

وإنَّ يحمنى حامى المقادير مقدما
 عليك سلام الله ما طاف طائف
 بكعبتك العليا وما قام قائم
 إليك فهدىها الرياح النواسم
 ونفسى فما منها سوى الله عاصم
 أعوذ بمن أسناك من شر خلقه
 وأهدى صلاتى والسلام لأحمد
 لعلى به من كبة النار سالم
 انتهى ما أورده فى القلائد دون ما قدمناه .

ولنختم ترجمة ابن السيد بقوله :
 إليك أفر من ذلى وذنبى
 فأنت إذا لقيت الله حسبى
 وزورة أحمد المختار قدما
 منى وبغيتى لو شاء ربى
 فإن أحرم زيارته بجسمى
 فلم أحرم زيارته بقلبى
 فدونك يا رسول الله منى
 تحية مؤمن وهدى محب
 سأجعل عروتى الوثقى يقينى
 لصحة ما أتيت به وحبى
 عسى ود ثوى لك فى فؤادى
 على بعد سيوجب منك قربى
 شهدت بأن دينك خير دين
 بلا شك وصحبك خير صحب
 ولنمسك العنان .

ومن أشياخ القاضي أبي الفضل عياض رحمه الله^(١):

الشيخ أبو علي الجياني، وهو حسين بن محمد بن أحمد الغساني -
بغين معجمة وسين مهملة مشددة - الجياني - بجيم ومثناة من أسفل مشددة
- رئيس المحدثين بقرطبة، وليس هو منها، وإنما نزلها أبوه في الفتنة وأصلهم
من الزهراء.

روى عن أبي العاصي حكيم بن محمد الجذامي، وأبي عمر بن عبد البر
وأبي شاكر القبري، وأبي عبد الله محمد بن عتاب، وأبي القاسم حاتم بن
محمد، وأبي عمر بن الحذاء القاضي، وأبي مروان الطنبلي، والقاضي سراج
بن عبد الله، وابنه أبي مروان، وأبي الوليد الباجي، وأبي العباس العذري،
وجماعة غيرهم يطول تعدادهم، سمع منهم وكتب الحديث عنهم.

وكان من جهابذة المحدثين، وكبار العلماء المُسَنِّدين، وعنى بالحديث
وكتبه وروايته وضبطه، وكان حسن الخط، جيد الضبط، وكان له بصر باللغة
والإعراب، ومعرفة بالغريب والشعر والأنساب، وجمع من ذلك كله ما لم
يجمعه أحد في وقته، ورحل الناس إليه، وعَوَّكُوا في الرواية عليه، وجلس
لذلك بالمسجد الجامع بقرطبة، وسمع منه أعلام قرطبة وكبارها، وفقهاؤها
وجللتها.

أخبر عنه^(٢) واحد من الشيوخ، ووصفوه بالجلالة، والحفظ والنباهة،
والتواضع والصيانة. وذكره الشيخ أبو الحسن بن مغيث فقال: كان من أكمل
من رأيت علماً بالحديث، ومعرفة بطرقه، وحفظاً لرجالها، عانى كتب اللغة،
وأكثر من رواية الأشعار، وجمع من سعة الرواية ما لم يجمعه أحد أدركناه؛

(١) الصلة لابن بشكوال ج ١ ص ١٤١، وفهرس شيوخ القاضي عياض (الغنية) ص ٩٩.

(٢) الصلة ج ١ ص ١٤٢.

وصحح من الكتب ما لم يصححه غيره من الحفاظ، كتبه حجة بالغة، وجمع كتاباً في الرجال الصحيحين، سماه «تقييد المهمل وتمييز المشكل» وهو كتاب حسن مفيد، أخذه الناس عنه.

قال أبو القاسم بن بشكوال^(١): قرأت بخط أبي على رحمه الله تعالى في كتابه: أنا حكم بن محمد، قال أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن رزيق، قال: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد البغدادي الوراق، قال: سمعت ابن الأصم يقول: سمعت أبي يقول - إذا رأى أصحاب الحديث -:

أهلاً وسهلاً بالذين أحبهم وأودهم فى الله ذى الآلاء
أهلاً بقوم صالحين ذوى تقى غر الوجوه وزين كل ملاء
يا طالبى علم النبى محمد ما أنتم وسواكم بسواء
وأصابت الشيخ أبا على زمانة عطلته، فأعمل الرحالة إلى ألمرية للاستشفاء، بماء حمّتها، حَمَّةٌ بَجَانَةٍ؛ فقدم عليها فى صدر المحرم سنة ست وتسعين وأربع مائة؛ وكان نزوله بها على الشيخ الفقيه أبى الربيع سليمان بن حزم السبائي، وفى منزله وبقراءته وقراءة القاضى أبى القاسم بن ورد، وكان أكثر ما سمع عليه منْ بألمرية، ويوجد السماع عليه بِحَمَّةٍ بجانة؛ ثم قفل إلى قريته، وبها توفى رحمه الله ليلة الجمعة لاثنى عشرة ليلة خلت من شعبان، وقال أبو جعفر بن الباذش: لعشرة خلون منه سنة ثمان وتسعين وأربع مئة؛ ودفن يوم الجمعة بمقبرة الربض عند الشريعة القديمة؛ ومولده فى المحرم سنة سبع وعشرين وأربع مئة؛ وكان لزم داره قبل موته لزمانته.

(١) الصلة ج ١ ص ١٤٢.

ذكر ذلك كله ابن بشكوال؛ وفيه عن غيره، وهذا هو الصحيح الذي لا يلتفت إلى غيره، ممن قال إن وفاته سنة ست وتسعين وأربع مئة. والله أعلم.



ومن أשיاخ القاضى أبى الفضل عياض رحمه الله تعالى :

القاضى الشهير الشهيد أبو على الصدقى^(١). وهو حسين بن محمد بن فيره بن حيون بن سكرة. وفيه - بكسر أوله، وياء مثناة فى أسفل، وراء مضمومة مشددة، وهاء ساكنة - : قيل معناه الحديد بلغة العجم، وقد صرح بذلك صاحب الديباج المذهب. وحيون - بحاء مهملة، وياء مثناة من أسفل مشددة. وسكرة: بضم السين المهملة، وفتح الكاف المشددة، وآخره تاء تأنيث: مؤنت سكر. والصدقى: بفتح أوله وثانيه. وهو من أهل سرقسطة، سكن مرسية، وروى بسرقسطة عن أبى الوليد سليمان بن خلف الباجى، وأبى محمد عبد الله بن محمد بن إسماعيل وغيرهما، وسمع ببلنسية من أبى العباس العذرى، وسمع بالمرية من أبى عبد الله محمد بن سعدون القروى، وأبى عبد الله بن المرباط، وغيرهما.

ورحل إلى المشرق أول المحرم من سنة إحدى وثمانين وأربع مئة، وحج من عامه، ولقى بمكة أبا عبد الله الحسين بن على الطبرى: إمام الحرمين، وأبا بكر الطرطوشى، وغيرهما، ثم صار إلى البصرة، فلقي بها أبا يعلى المالكى، وأبا العباس الجرجانى، وأبا القاسم بن شعبة، وغيرهم.

وخرج إلى بغداد، فسمع بواسط من أبى المعالى محمد بن عبد السلام الأصبهاني وغيره، ودخل بغداد يوم الأحد السادس عشر لجمادى الآخرة،

(١) الصلة لابن بشكوال ج ١ ص ١٥١، والغنية ص ٩٢، ومختصر تاريخ ابن عساكر ج ٧

سنة اثنتين وثمانين وأربع مئة، فأطال الإقامة بها خمس سنين كاملة، وسمع بها من أبي الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون مسند بغداد، ومن أبي الحسين المبارك^(١) بن عبد الجبار الصيرفي، وأبي محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي، وأبي الفوارس طراد بن محمد الزينبي، وأبي عبد الله الحميدي؛ وتفقه على [الفقيه^(٢)] أبي بكر الشاشي وغيره.

وسمع من جماعة سواهم من رجال بغداد ومن القادمين عليها أيام كونه بها. ثم رحل عنها في جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وأربع مئة، فسمع بدمشق من أبي الفتح [نصر]^(٣) بن إبراهيم المقدسي، وأبي الفرج سهل بن بشر الإسفرائني وغيرهما.

وسمع بمصر من القاضي أبي الحسن علي بن الحسين الخلعي، وأبي العباس أحمد بن إبراهيم الرازي وأجازه له أبو إسحاق الحبال مسند مصر في وقته ومكثها.

وسمع بالإسكندرية من أبي القاسم مهدي بن يوسف الوراق، ومن أبي القاسم شعيب بن سعيد^(٣) وغيرهما.

ووصل إلى الأندلس في صفر من سنة تسعين وأربع مئة؛ وقصد مرسية، فاستوطنها، وقعد يحدث الناس بجامعها؛ ورحل الناس من البلدان إليه، وكثر سماعهم عليه، وكان عالماً بالحديث وطرقه، عارفاً بعلمه وأسماء

(١) تحرف في المطبوع إلى: «أبي الحسين بن المبارك» وصوابه لدى ابن بشكوال ج ١ ص ١٤٣، والغنية ص ٩٤، ونفح الطيب ٩١/٢.

(٢) التكملة من الصلة ١٤٣/١.

(٣) تحرف في المطبوع إلى: «شعيب بن سعد» وصوابه لدى ابن بشكوال في الصلة ١٥٢/١ والمقرى في نفح الطيب ٩١/٢.

رجاله ونقلته، بصيراً بالمعدلين؛ وكان حسن الخط، جيد الضبط وكتب بيده علماً مثيراً وقيده؛ وكان حافظاً لمصنفات الحديث، قائماً عليها، ذاكراً لمتونها وأسانيدها ورواتها، وكتب منها صحيح البخارى فى سفر، وصحيح مسلم فى سفر، وكان قائماً على الكتابين، مع مصنف أبى عيسى الترمذى. وكان فاضلاً ديناً، متواضعاً حليماً، وقوراً عالماً عاملاً؛ واستقضى بمرسية ثم استعفى فأعفى؛ وأقبل على نشر العلم وبثه.

قال ابن الأبار: وقد ذكره أبو القاسم بن عساكر فى تاريخه، لدخوله الشام. قال: وبعد أن استقرت به النوى، واستمرت إفادته بما قيد وروى؛ رفعته ملوك أوانه، وشفعته فى مطالب إخوانه؛ فأوسعته رعيّاً، وحسنت فيه رأياً؛ ومن أبنائهم من جعل يقصده، لسماع مسنده. وعلى وقاره الذى كان به يعرف، ندر له مع بعضهم ما يستظرف، وهو أن فتى منهم يسمى يوسف، لازم مجلسه، معطراً رائحته، ومنظفاً ملبسه، ثم غاب لمرض قطعه، أو شغل منعه؛ ولما فرغ أو أبل، عاود ذلك النادى المبارك والمحل؛ وقبل إفضائه إليه دل طيبه عليه؛ فقال الشيخ، على نزاهته من المجون، وسلامته من الفتون: ﴿... إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (٩٤)﴾ [يوسف]. وهى من طرف نوادره، رحمة الله عليه.

ولما قلد الشيخ أبو على قضاء مرسية، وعزم عليه فى توليه، ولم يوسعه عذراً فى استعفائه مقدمه لذلك وموليه؛ خرج منها إلى المَرِيَّة، فأقام بها، سنة خمس وبعض سنة ست وخمس مئة. وفى سنة ست قبل قضاءها على كره، إلى أن استعفى آخر سنة سبع، فى قصة يطول إيرادها. ولطول مقامه بالمرية أخذ الناس عنه فيها، فلما كانت وقعة كتندة، ويقال قتنده بالقاف، من

حيز دورقة، من عمل سرقسطة، من الثغر الأعلى، وذلك سنة أربع عشرة وخمس مئة، وكان الشيخ أبو على ممن حضرها، هو وقرينه في الفضل أبو عبد الله بن الفرج، خرجا مع الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين غازيين، فكانا فيمن فقد فيها واختلف فيها أصحابه، فجعلها أبو جعفر بن الباذش بعد العصر، من يوم الأربعاء السابع عشر من ربيع الآخر، من السنة المذكورة، وتابعه أبو عبد الله بن عبد الرحيم؛ وجعلها القاضي أبو الفضل عياض بن موسى يوم الخميس، لست بقين منه.

وقال أبو القاسم بن بشكوال: استشهد القاضي أبو على في وقعة قنطرة، بثغر الأندلس، يوم الخميس ووافق عياضاً إلا في الشهر، فإنه قال من ربيع الأول^(١).

قال ابن الأبار: وهو الأصح. وقال أبو عمرو الخضر بن عبد الرحمن: توفي في الكائنة على المسلمين بكنطرة، عشي يوم الخميس، الثامن عشر من شهر ربيع الأول، فتابع ابن بشكوال على الشهر.

قال أبو عبد الله بن الأبار: وقرأت بخط أبي عبد الله بن مدرك بن الغساني الملقب: استشهد الفقيه أبو على رحمه الله تعالى في وقعة كنطرة، يوم الخميس، التاسع من ربيع الأول، وذكر السنة. قال: وكانت على المسلمين، جبرهم الله تعالى، قتل فيها من المطوعة نحو عشرين ألفاً، ولم يقتل فيها من العسكر يعنى الجند أحد، وحكى غيرهم أن العسكر انصرف مفلولاً إلى بلنسية، في الموفى عشرين من ربيع الأول أيضاً، وأن القاضي أبا

(١) ابن بشكوال: الصلة ج ١ ص ١٤٤.

بكر بن العربي حضرها. قال: وسئل مخلصه منها عن حاله، فقال، حال من ترك الخبأ والعبأ^(١).

قال ابن بشكوال: وكان القاضي أبو عليّ يومئذ من أبناء الستين، وقد ذكره ابن بشكوال، وقال: وهو ممن كتب إلينا بإجازة ما رواه، ولم ألقه^(٢).

وذكره ابن الأبار في معجم أصحابه، وقد ألف ابن الأبار هذا المعجم في أصحاب القاضي أبي عليّ، كما ألف القاضي أبو الفضل عياض بن موسى معجم شيوخه، رحمة الله عليهم أجمعين.

ومن أشياخ القاضي أبي الفضل عياض رحمه الله تعالى:

أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام الهاللي، يعرف بابن بقوى، ويقال ابن بقوة^(٣).

من أهل غرناطة، وسكن ألمرية وسمع من شيوخ ألمرية، مثل طاهر ابن هشام الأزدي، وأبي محمد حجاج بن عليّ بن محمد الرعيني، المعروف بابن المأموني، وأبي القاسم خلف بن أحمد الجراوي، وأبي العباس أحمد بن عمر العذري، وغيرهم؛ ومن الطارئین عليها، مثل القاضي أبي الوليد الباجي، وأبي عبد الله محمد بن سعدون القروي.

وكان خروجه من ألمرية بعد سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة، وسكن غرناطة مدة، وولى الأحكام بعدة جهات من كورة البيرة. وكان من حفاظ

(١) هذا مثل عند المغاربة، يقال لمن ذهب ثيابه وخيامه - بمعنى أنه ذهب جميع ما لديه.

(٢) ابن بشكوال: الصلة ج ١ ص ١٤٤.

(٣) الغنية للقاضي عياض، ص ١٦٢، والصلة لابن بشكوال ٦١٩/٢.

الحديث المعتنين بالتنقيير عن معانيه، واستخراج الفقه منه، مع التقدم فى حفظ مسائل الرأى، والبصر بعقد الوثائق، والتقدم فى معرفة أصول الدين. روى عنه جماعة.

وولد فى صفر سنة أربع وأربعين وأربع مئة، وتوفى بغرناطة فى شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وخمس مائة؛ ذكره ابن بشكوال^(١).

ومن أشياخ القاضى أبى الفضل عياض رحمه الله:

القاضى أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن على بن سعيد بن عبد الله بن شبرين^(٢) - بشين معجمة مكسورة، وباء موحدة ساكنة، وراء مكسورة، بعدها ياء، آخر الحروف، وآخره نون - الجذامى، من أهل مُرْجِيق: حصن من حصون شَلْب، بينهما أربعون ميلا من الغرب.

أخذ عن القاضى أبى الوليد الباجى كثيراً من مروياته وتآليفه، وصحبه واختص به، وكان من أهل العلم، والمعرفة والفهم، عالماً بالأصول والفروع، واستقضى بإشبيلية، وحمدت سيرته، ولم يزل يتولى القضاء بها، إلى أن توفى ليلة الأربعاء لثلاث خلون من رجب الفرد، سنة ثلاث وخمس مئة.

قال ابن بشكوال^(٣): كتب إلى القاضى أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بوفاته، وقال قيدتها حين وفاته. قلت: وهذا هو الصواب لا ما قاله بعض من شرح الشفا: إنه توفى يوم الخميس رابع رجب المذكور، ولعله ظن

(١) ابن بشكوال: الصلاة ج ١ ص ٦١٩.

(٢) ابن بشكوال: الصلاة ٢/٥٣٨، وفهرست شيوخ القاضى عياض، ص ٤٦.

(٣) ابن بشكوال: الصلاة ٢/٥٣٨.

أنَّ يومَ دفنه يومَ وفاته، على أنَّ مثلَ هذا قريب، لا سيما إن كانت وفاته آخر الليل، فلا يكون بين اليوم والليلة إلاَّ مديدة قليلة جدًّا، فافهم.

وحكى القاضى أبو الحسن عيسى بن حبيب: أنَّه رحل إلى أبى الوليد الباجى سنة تسع وستين وأربع مئة، وصحبه بسرقسطة، ثم سافر معه إلى أَلْمَرِيَّةَ، حتى مات أبو الوليد، فكانت صحبته له نحو أربعة أعوام، ووصل من منفعته به فى العلم فى هذه المدة، ما لم يصل إليه غيره منه فى المدة الطويلة، رحمهما الله تعالى؛ وأجاز له جميع رواياته أبو العباس العذرى، وأبو القاسم عبد الجليل الربعى القيروانى، مع تواليفه، وأجاز له أبو عبد الله ابن المرباط روايته عن الطلمنكى وخلف البغوى، وصحب بعد وفاة القاضى أبى الوليد الباجى ابنه أبا القاسم، وأجاز له جميع ما رواه، وانصرف إلى حصن مرجيق، فولى الأحكام به، ثم نقل إلى قضاء شلب، فأقام بها قاضياً أعواماً، ثم نقله الأمير سير بن أبى بكر إلى قضاء إشبيلية، بعد صرف أبى القاسم بن منظور عن قضائها، فضبط الأمور، وجمع المفقود من شئون القضاء، وكان صليباً فى الحق، نافذاً فى أحكامه، لا تأخذه فى الله لومة لائم، وشنَّه أقوام، فبغوا عليه، بغياً وحسداً، عند أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين، فصرفه عن القضاء، ثم لم يلبث إلاَّ نحو خمسة عشر يوماً، حتى رده إليه أحسن رد. وكان الفقيه أبو مروان الباجى يثنى عليه، ويبالغ فى تقريظه، ويقول: ما علَّما القضاء إلاَّ أبو عبد الله بن شبرين.

ولم يزل قاضياً بإشبيلية، مضطرباً بأعباء القضاء، حسن السياسة فيه، ناشراً للعلم، إلى أن توفى بها، رحمه الله تعالى. ذكره ابن بشكوال^(١).

(١) لم يذكر ابن بشكوال سوى الفقرة الأخيرة.

وإذا تتبعنا أشياخ القاضى عياض بالتعريف، لم يَسَعْ ذلك هذا الموضوع، وقد تقدم أنهم نحو المائة، ورتبهم ولده على الحروف، حسبما نقل من فهرسته.

فمنهم فى حرف الهمزة:

الشيخ ابن بقى^(١)، وهو أحمد بن محمد بن محمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد بن بقى بن مخلد. ولد فى شعبان سنة ست وأربعين وأربع مئة. ومات منسلخ ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة. وكف بصره بآخر عمره. رحمه الله.

ومنهم فى هذا الحرف:

أبو جعفر بن المرخى^(٢)، وهو أحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمى توفى ليلة الجمعة لثمان بقين من ربيع الأول، سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة.

ومنهم:

الشيخ ابن غلبون^(٣)، وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان ابن غلبون - بفتح الغين المعجمة، وضم الباب الموحدة،

(١) فهرست شيوخ القاضى عياض ص ٦٦، والصلة الترجمة: ١٧٤.

(٢) فهرست شيوخ القاضى عياض، ص ٧٥.

(٣) ابن بشكوال: الصلة ج ١ ص ٧٦.

وآخره نون. ولد سنة ثمان عشرة وأربع مئة، ومات فى شعبان سنة ثمان وخمس مئة.

ومنهم:

أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصارى الشارقى^(١)،
توفى قرب خمس مئة.

ومنهم:

أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر بن أحمد الفقيه اللواتى^(٢) - بفتح اللام -
منسوب للواتة، مخففة الواو، مفتوحها، ومفتوحة اللام أيضاً، وتاء مثناة من
فوق، قبيلة. ابن الفاسى، نسبة لفاس الحضرة المشهورة، حاط الله أرجاءها،
وبلغها من الأمن والعافية رجاءها. مات فى الثامن من جمادى الآخرة، سنة
ثلاث عشرة وخمس مئة.

ومنهم:

أحمد بن سعيد بن بَشْتِغِير^(٣)، وأحمد بن محمد بن مكحول^(٤)، إلى
غيرهم من جملة سبعة عشر رجلاً فى هذا الحرف، أعنى حرف الهمزة.

(١) فهرست شيوخ القاضى عياض، ص ٨٠.

(٢) فهرست شيوخ القاضى عياض، ص ٨٦.

(٣) فهرست شيوخ القاضى عياض، ص ٦٨.

(٤) لعله الذى فى فهرست شيوخ القاضى عياض، ص ٦٩ باسم: «أحمد بن عثمان بن
مكحول» وجاءت ترجمته عقب ترجمة ابن بشتغير كما هنا.

ومنهم فى حرف الحاء:

الحسين بن محمد الصدقى، والحسين بن محمد الغسانى، وقد تقدم الكلام عليهما، والحسين بن عبد الأعلى السفاقى، والحسين بن على بن طريف.

ومنهم فى حرف الخاء:

خلف بن إبراهيم أبو القاسم الخطيب المقرئ^(١). وهو خلف بن إبراهيم بن خلف بن سعيد المعروف بابن النحاس، بخاء معجمة، وبابن الحصار. ولد سنة سبع وعشرين وأربع مئة، وتوفى بقرطبة يوم الثلاثاء، سادس عشر صفر سنة إحدى عشرة وخمس مئة. وخلف بن خلف الأنصارى بن الأنقر. وخلف بن يوسف بن فرتون.

ومنهم فى حرف الميم:

القاضى أبو الوليد بن رشد، والقاضى عبد الله بن حمدى، والقاضى أبو عبد الله بن الحاج، والقاضى ابن العربى، والقاضى ابن شبرين، وقد تقدم ذكرهم.

وأبو عبد الله التميمى، وهو محمد بن عيسى بن حسين^(٢)، ولد سنة تسع وعشرين وأربع مئة، ومات بسبتة صبيحة يوم السبت لتسع بقين من جمادى الأولى سنة خمس وخمس مئة.

وأبو عامر محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل الطليطلى^(٣)، بضم الطاءين. ولد سنة ست وخمسين وأربع مئة ومات بقرطبة، فى ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وخمس مئة.

(١) الغنية ص ١٠٦.

(٢) الغنية ص ١٠.

(٣) الغنية ص ٤٤.

وأبو عمران موسى بن عبد الرحمن بن أبي تليد بمشاة من فوق مفتوحة،
الشاطبي الرعيني^(١)، منسوب لذي رعين من حمير. ولد سنة أربع وأربعين
وأربع مئة ومات في ربيع الآخر سنة سبع عشرة وخمس مئة.

ومن شعره رحمه الله ورضى عنه:

الليالى تسوء ثم تسر وصروف الزمان ما تستقرُّ
بينما المرء فى حلاوة عيشٍ إذ أتاه على الحلاوة مر
فالكريم المصاب يفرع فيه لكريم وينفع الحر حر
وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن سعيد الأشقرى المقرئ
النحوى، مات سنة خمس وخمس مئة. ومحمد بن علي الشاطبي ابن
الصيقل، ومحمد بن سليمان النفزى بن أخت غانم، ومحمد بن عيسى
التجيبى القاضى، إلى غيرهم من جملة أحد وثلاثين شيخاً فى هذا الحرف،
منهم المازرى والطروشى، لكن بالإجازة له، إذ لم يلقهما كما سيأتى قريباً.

ومنهم فى حرف العين:

أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسى، وقد تقدم ذكره. وأبو محمد
ابن عتاب الجذامى، الإمام الشهير، فقيه قرطبة وإمامها، وشيخ زمانه فى
العلم الموروث كابرًا عن كابر، توفى سنة ثمان وخمس مئة. وأبو محمد عبد
الله بن أبى جعفر، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الله الحشنى. وعبد
الرحمن بن محمد السبتي ابن العجوز، وعبد الله بن محمد بن أيوب
الفهرى. وعبد الرحمن بن محمد بن بقى. وعلي بن أحمد الأنصارى بن
البادش. وأبو الحسن علي بن مشرف «اسم مفعول شُرف بالتشديد» وهو ابن

(١) الغنية ص ٤٥.

مُسَلَّم «مفعول، سَلَّم مشدد» ابن أحمد بن عبد المنعم بن عبد الرحمن الأنماطى «بفتح الهمزة»، الإسكندرانى . وأبو محمد عبد الله بن أحمد العدل «بالفتح وسكون الدال» التميمى ومات بسببة عام أحد وخمس مئة . وعلى بن عبد الرحمن التجيبى بن الأخضر؛ إلى غيرهم من جملة سبعة وعشرين فى هذا الحرف .

ومنهم فى حرف الغين؛

غالب بن عطية المحاربى ، وقد تقدم .

ومنهم فى حرف السين؛

سراج بن عبد الملك بن سراج أبو الحسن . وأبو بحر سيفان بن العاصى الأسدى ، مات بقرطبة لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة عشرين وخمس مئة ، وولد سنة تسع وثلاثين ، وقيل أربعين وأربع مئة ، وفى سنة وفاته المذكورة توفى القاضى أبو بكر الطرطوشى رحمه الله ، وفيها أيضاً توفى الإمام المؤرخ الشيخ الراوية ، أبو مروان حيان بن حيان رحمه الله . وشيوخ القاضى أبى الفضل فى هذا الحرف خمسة .

ومنهم فى حرف الشين؛

شريح بن محمد الرعينى الإشبلى .

ومنهم فى حرف الهاء؛

أبو الوليد هشام بن أحمد بن العواد ، الفقيه المشهور ، ولد سنة اثنتين وخمسين وأربع مئة ، وتوفى سنة تسع وخمس مئة . وهشام بن أحمد الهلالى الغرناطى ، وقد تقدم ذكره .

ومنهم فى حرف الياء:

يونس بن محمد بن مغيث بن الصفار.

ويوسف بن موسى الكلبي^(١)، سمع القاضى أبو الفضل منه أرجوزته. وهو الضرير الأديب النحوى المتكلم الزاهد. وأصله من سرقسطة، وسكن مراكش، وبها توفى سنة عشرين وخمس مئة. وهو من تلاميذ أبى بكر محمد ابن الحسن المردى الحضرمى. والمردى هذا أول من أدخل علوم الاعتقاد إلى المغرب القصى، وسكن بأغمات؛ فلما توجه أبو بكر بن عمر إلى الصحراء حملة وولاه القضاء، فمات بأركى^(٢) من صحراء المغرب سنة تسع وثمانين وأربع مائة؛ فخلفه أبو الحجاج يوسف فى علوم الاعتقادات، وغلب عليه الزهد؛ وله أرجوزة صغرى فى علم الاعتقاد، قرأها عليه القاضى أبو الفضل عياض، كما ذكرناه.

قال عياض: وأجازنى أرجوزته الكبرى وجميع تأليفه ورواياته وكتاب التحرير لشيخه المردى؛ وعن المردى كان أكثر أخذ أبى الحجاج.

قال عياض رحمه الله تعالى: أنشدنى لشيخه أبى بكر المردى^(٣) رحمه الله تعالى:

علمى بقبح المعاصى حين أركبها	يقضى بآنى محمول على القدر
لو كنت أملك نفسى أو أصرفها	ما كنت أطرحها فى لجة العذر
كلفت فعلا ولم أقدر عليه ولم	أكن لأفعل أفعالا بلا قدر
وكان فى عدل ربى أن يعذبنى	فلم أشاركه فى نفع ولا ضرر
إن شاء نعمنى أو شاء عذبنى	أو شاء صورنى فى أقبح الصور

(١) الغنية ص ١٦٥.

(٢) تحرف فى المطبوع إلى: «أركر».

(٣) الغنية ص ١٦١.

يا رب عفوك عن ذنب قضيت به عدلا على فهب لى صفح مقتدر

ومن شيوخ القاضى عياض رحمه الله تعالى فى حرف الياء:
يوسف بن عبد العزيز بن عديس الطليطلى، رحم الله جميعهم.

وممن أجاز القاضى أبا الفضل عياضا ولم يلقه:

الشيخ الأستاذ أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشى^(١)، الطائر الصيت،
الشهير الذكر، وقد تقدم ذكر وفاته.

وهو محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشى
الفهرى الطرطوشى بضم الطاءين المهملتين وقد تفتح الطاء الأولى أصله من
طرطوشة بلاد الأندلس ويعرف بابن أبى رندقة [براء مهملة مفتوحة ثم نون
ساكنة ثم دال مهملة مفتوحة ثم قاف كنيته أبو بكر وهو المعنى]^(٢) بقول ابن
الحاجب فى مختصره الفقهى فى باب العتق: «وقال الاستاذ: ومقتضاه إذا
باعه قبل التقويم أن يقوم».

صحب القاضى أبا الوليد الباجى بسر قسطة وأخذ عنه مسائل الخلاف،
وسمع منه وأجازه، وقرأ الفرائض والحساب بوطنه، قرأ الأدب على أبى
محمد ابن حزم بمدينة إشبيلية.

ثم رحل إلى المشرق سنة ست وسبعين وأربع مئة، وحج ودخل بغداد
والبصرة فتفقه عند أبى بكر الشاشى وأبى أحمد الجرجانى، وسمع فى البصرة

(١) الغنية ص ٣٦، والصلة لابن يشكوال ص ٥٤٥.

من أبى علىّ التستري، وسكن الشام مدة ودرس بها، وكان إماما عالما عاملا زاهدا متواضعا دينيا ورعا متقشفا متقللا من الدنيا راضيا منها بالسير.

ومن كلامه رضى الله عنه: إذا عرض لك أمران: أمر دنيا وأمر أخرى فبادر بأمر الأخرى يحصل لك أمر الدنيا والأخرى.

وله عدة تأليف منها مختصر تفسير الثعلبي، والكتاب الكبير فى مسائل الخلاف، وكتاب فى تحريم جبن الروم، وكتاب سراج الملوك، وهو من أنفع الكتب فى بابيه وأشهرها، وكتاب بدع الأمور ومحدثاتها، وكتاب شرح رسالة ابن أبى زيد.

ولد سنة إحدى وخمسين وأربع مئة تقريبا، وتوفى فى ثلث الليل الأخير من ليلة السبت لأربع بقين من جماد الأولى، وقال ابن بشكوال فى الصلة: فى شعبان سنة عشرين وخمس مئة كما تقدم، بشجر الإسكندرية، وصلى عليه ولده محمد، ودفن قبلى الباب الأخضر. رحمه الله ورضى عنه.

وقال ابن خلكان فى حقه ما نصه: محمد بن الوليد بن محمد بن خلف ابن سليمان، [ابن أيوب]^(١) القرشي الفهري الأندلسي الطرطوشي المالكي المعروف بابن أبى رندقة بالراء المهملة المفتوحة وتسكين النون، إمام ورع، وأديب متقلل. وكان يقول: إذا عرض لك أمران: أمر أخرى وأمر دنيا فبادر بأمر الأخرى يحصل لك أمر الدنيا والأخرى^(١).

وله طريقة فى الخلاف وله أشعار منها^(٢):

(١) ابن خلكان ٢٦٢/٤ وما بين حاصرتين منه.

(٢) ابن خلكان ٢٦٣/٤، ونفح الطيب ٨٦/٢.

إذا كنت فى حاجة مرسلا وأنت بأنجازها مغرم
فأرسل بأبله خلابه به صمم أغطش أبكم
ودع عنك كل رسول سلوى رسول يقال له الدرهم
قال الطرطوشى: كنت ليلة نائما فى البيت المقدس إذ سمعت فى الليل
صوتا حزينا ينشد^(١):

أخوف ونوم إن ذا لعجيب ثكلتك من قلب فأنت كذوب
أما وجلال الله لو كنت صادقا لما كان للإغماض فيك نصيب
قال: فأيقظ النوم وأبكى العيون.
وكان الطرطوشى ينشد^(٢):

إنَّ لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
فكروا فيها فلما علموا أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا
ودخل الطرطوشى على الأفضل بن أمير الجيوش فوعظه وقال: إنَّ الأمر
الذى أصبحت فيه من الملك إنما صار إليك بموت من كان قبلك وهو خارج
عن يدك بمثل ما صار إليك، فاتق الله فيما خولك من هذه الأمة، فإنَّ الله عز
وجل سائلك عن النكير والقطمير والفتيل، واعلم أنَّ الله عز وجل آتى
سليمان بن داود ملك الدنيا بحذافيرها، فسخر له الإنس والجن والشياطين
والطير والوحش والبهائم، وسخر له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب،

(١) ابن خلكان ٢٦٤/٤.

(٢) الصلة لابن بشكوال، ص ٥٤٥، وابن خلكان ٢٦٢/٤، ونفع الطيب ٨٦/٢.

ورفع عنه حساب ذلك أجمع فقال عز من قائل: ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص] فما عد ذلك نعمة كما عدد تموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها، بل خاف أن يكون استدراجا من الله عز وجل فقال: ﴿ ... هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ... ﴾ [النمل] فافتح الباب، وسهل الحجاب وانصر المظلوم، وكان إلى جانب الأفضل رجل نصراني فأنشده^(١):

يا ذا الذى طاعته قربة وحقه مفترض واجب
إنَّ الذى شـرفت من أجله يزعم هذا أنه كـاذب
وأشار إلى ذلك النصراني فأقامه الأفضل من موضعه.

وتوفى الطرطوشى سنة عشرين وخمس مئة بالإسكندرية.

انتهى كلام ابن خلكان. وذكرته برمته وإن كان بعضه قد تقدم تكميلا للغرض، وقد يقع لى مثل هذا فى هذا الموضع كثيرا، والقصد به التقوية لما تكرر معه، أو غير ذلك كارتباط الكلام بعضه ببعض، وعلى الله قصد السبيل.

وممن أجاز القاضى عياضا ولم يلقه:

الشيخ الإمام المجتهد أبو عبد الله المازرى^(٢)، محمد بن على بن عمر ابن محمد التميمى المازرى - بفتح الزاى - عند الأكثر، وجوز كسرهما جماعة نسبة إلى مازر بليدة بجزيرة صقلية أعادها الله. أخذ عن الشيخين أبى الحسن اللخمى وأبى محمد بن عبد الحميد القروى المعروف بالصائغ، وكان إماما

(١) ابن خلكان ٢٦٣/٤، ونفح الطيب ٨٧/٢.

(٢) الغنية ص ٣٨.

محدثاً، وهو أحد الأئمة الأعلام المشار إليهم في حفظ الحديث والكلام عليه، عمدة النظر، وتحفة الأمصار، المشهور في الآفاق والأقطار، حتى عد في المذهب إماماً، وملك من مسائله زماماً. وله تأليف مفيدة عظيمة النفع منها: كتاب المُعَلِّم بفوائد مسلم، وكتاب التعليقة على المدونة، وكتاب شرح التلقين، وكتاب الرد على الإحياء للغزالي المسمى بكتاب الكشف والإنباء، عن المترجم بالإحياء وكشف الغطا عن لمس الخطأ، وكتاب إيضاح المحصول من برهان الأصول، وتعليقة على أحاديث الجوزقي، وله أيضاً إملاء على شيء من رسائل إخوان الصفا، سألها السلطان تميم عنه، وكتاب النكت القطعية في الرد على الحشوية والذين يقولون بقدوم الأصوات والحروف، وفتاوى.

توفي ثامن عشر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وخمسة مئة، وقيل يوم الاثنين ثامن الشهر المذكور بالمهدية، وعمره ثلاث وثمانون سنة رحمه الله ورضي عنه.

وحكى أن بعض طلبة الأندلس ورد على المهدية، وكان يحضر مجلس المازري، ودخل شعاع الشمس من كوة فوق على رجل الشيخ المازري فقال الشيخ: هذا شعاع منعكس فذيله الطالب المذكور حين رآه متزنا فقال:

هذا شعاع منعكس لعله لا تلتبس
لما رآك عنصراً من كل علم ينبس
أتى يمد ساعداً من نور علم يقتبس

وأظن أنني رأيت هذه الحكاية في نظم الدر والعقيان للشيخ الحافظ أبي عبد الله التلمساني، فلتراجع ثم لأنني نقلتها بالمعنى.

وممن أجاز القاضى عياض ولم يلقه:

الشيخ الحافظ إمام المحدثين أبو الطاهر السلفى أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سلفة الأصبهاني الملقب صدر الدين^(١).

قال ابن خلكان: هو أحد الحفاظ الكثيرين. رحل في طلب الحديث ولقى أعيان المشايخ وكان شافعى المذهب. ورد بغداد واشتغل بها على الكيا [أبى الحسن على الهراسى]^(٢)، فى الفقه وعلى الخطيب أبى زكريا يحيى بن على التبريزى اللغوى باللغة، وروى عن أبى محمد جعفر بن السراج وغيره من الأئمة الأمثال، وجاب البلاد، وطاف الآفاق، ودخل الإسكندرية سنة إحدى عشرة وخمس مئة فى ذى القعدة، وكان قدومه إليها فى البحر من مدينة صور، وأقام بها، وقصده الناس من الأماكن البعيدة، وسمعوا عليه، وانتفعوا به، ولم يكن فى آخر عمره فى عصره مثله. وبني له العادل أبو الحسن على بن السلار وزير الظافر العبيدى صاحب مصر فى سنة ست وأربعين وخمس مئة مدرسة بالشعر المذكور، وفوضها إليه وهى معروفة به الآن. وأدركت جماعة من أصحابه بالشام والديار المصرية، وسمعت عليهم وأجازوني، وكان قد كتب الكثير، ونقلت من خطه فوائد جمّة، ومن جملة ما نقلت من خطة لأبى عبد الله محمد بن عبد الجبار الأندلسى من قصيدة:

لولا اشتغالى بالأمير ومدحه لأطلت فى ذاك الغزال تغزلى^(٣)
لكن أوصاف الجلال عذبن لى فتركت أوصاف الجمال بمعزل

(١) الغنية ص ٧٠، ووفيات الأعيان ج ١ ص ١٠٥.

(٢) التكملة عن ابن خلكان ١/ ١٠٥.

(٣) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٠٥.

ونقلت من خطه أيضاً لبثينة [صاحبة جميل ترثيه]^(١):

وإنَّ سلوى عن جميل لساعة من الدهر ما حانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميل بن معمر إذا مت بأساء الحياة ولينها
وكان كثيراً ما ينشد^(٢):

قالوا نفوس الدار سكانها وأنتم عندي نفوس النفوس
وأماليه وتعاليقه كثيرة، والاختصار بالمختصر أولى.

وكانت ولادته اثنتين وسبعين وأربع مئة تقريباً بأصبهان، وتوفى ضحوة
نهار الجمعة وقيل ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين
 وخمس مئة بثغر الإسكندرية. ودفن في وعلة، وهى مقبرة داخل السور عند
الباب الأخضر، فيها جماعة من الصالحين كالطرطوشى وغيره، وهى - بفتح
الواو وسكون العين المهملة وبعدها لام ثم هاء - ويقال إنَّ هذه المقبرة منسوبة
إلى عبد الرحمن بن وعلة السبئى المصرى، صاحب ابن عباس رضى الله
عنهما. وقيل غير ذلك رحمه الله تعالى آمين.

قلت^(٣): وجدت العلماء المحدثين بالديار المصرية، من جملتهم الحافظ
زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى المحدث، محدث
مصر فى زمانه، يقولون فى مولد الحافظ السلفى هذه المقالة. ثم وجدت فى
كتاب: زهر الرياض المفصح عن المقاصد والأغراض تأليف الشيخ جمال الدين

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٠٦.

(٢) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٠٦.

(٣) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٠٦.

أبى القاسم عبد الرحمن بن أبى الفضل عبد المجيد بن إسماعيل بن حفص الصفراوى الإسكندرى، أنَّ الحافظ السلفى المذكور وهو شيخه كان يقول: مولدى بالتخمين لا باليقين سنة ثمان وسبعين، فيكون مبلغ عمره على مقتضى ذلك ثمانيا وتسعين سنة. هذا آخر كلام الصفراوى المذكور.

ورأيت^(١) فى تاريخ الحافظ محب الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادى، ما يدل على صحة ما قاله الصفراوى فإنه قال: قال عبد الغنى المقدسى: سألت الحافظ السلفى عن مولده فقال: أنا أذكر قتل نظام الملك فى سنة خمس وثمانين وأربع مئة، وكان لى من العمر حدود عشر سنين.

قلت^(٢): ولو كان مولده على ما يقوله أهل مصر إنَّه فى سنة اثنتين وسبعين، ما كان يقول أذكر قتل نظام الملك فى سنة خمس وثمانين وأربع مئة، فإنه على ما يقولونه قد كان عمره ثلاث عشرة سنة، أو أربع عشرة سنة، ولم تجر العادة أن من يكون فى هذا السنة يقول: أنا أذكر القضية الفلانية، وإنما يقول ذلك من يكون عمره تقديرا أربع أو خمس أو ست سنين.

فقد ظهر^(٣) بهذا أن قول الفراوى تلميذه أقرب إلى الصحة، وقد سمع منه أنَّه قال: مولدى فى سنة ثمان وسبعين، وليس الصفراوى ممن يشك فى قوله ولا يرتاب فى صحته، مع أننا ما علمنا أن أحدا منذ ثلاث مئة سنة إلى الآن بلغ المائة، فضلا عن أنَّه زاد عليها، سوى القاضى أبى الطيب طاهر بن عبد الله الطبرى، فإنه عاش مئة سنة وستين، كما سيأتى فى ترجمته.

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٠٧.

(٢) ابن خلكان ج ١ ص ١٠٧.

(٣) ابن خلكان ج ١ ص ١٠٧.

ونسبة السلفي^(١) إلى جده إبراهيم سلفة بكسر السين المهملة وفتح اللام والفاء وفي آخره الهاء - وهو لفظ عجمي ومعناه بالعربي ثلاث شفاه لأن شفته الواحدة كانت مشقوقة، فصارت مثل شفتين غير الأخرى الأصلية، والأصل فيه سلبة، بالباء، فأبدلت بالفاء.

انتهى كلام ابن خلكان.

قلت: ولا يخلو ما ذكره من بحث لأن السلفي قال: أنا أذكر قتل نظام الملك وأنا في حدود العشر سنين، وبحث ابن خلكان يقتضي أنه ابن ست سنين ونحوها، بل قد يقال: إن قول السلفي وكان في حدود عشر سنين لا ينافي قول الآخرين لما جرت العادة به من العلماء من إلغاء الكسر الزائد. سلمنا عدم ذلك، فلا دليل فيه لواحد منهما فتأمله منصفاً، والله سبحانه أعلم.

وكان ابن قنفذ اعتمد في وفاته على قول المصريين في مولد أبي الطاهر السلفي فلذا قال ما نصه: «وتوفى القاضي بغرناطة أبو عبد الله بن محمد بن القاضي عياض سنة خمس وسبعين وخمس مئة، وعرف في تاريخه بأبيه، وفي التي تليها توفى الشيخ أبو الطاهر السلفي وعمره مئة وأربع سنين وكان أجاز لكل من أدركته حياته. وسلفه بكسر السين المهملة: قرية في المشرق». انتهى.

وما قاله في سلفه مخالف لما سبق قريباً لابن خلكان ولعل قول ابن خلكان هو الصواب، والله تعالى اعلم.

ومن مشهور نظم السلفي رحمه الله قوله:

(١) ابن خلكان ج ١ ص ١٠٧.

ليس على الأرض فى زمانى من شأنه فى الحديث شانى
علما ونقدا ولا علوا فيه على رغم كل شانى
ومن ذلك قوله رحمه الله :

بالله يا معشر أصحابى اغتنموا علمى وآدابى
إنَّ نذير الموت جاء وقد حلف لا يرحل إلا بى
ومن نظمه رحمه الله ما أجاب به القاضى عياضا حين استجازه بقصيدة
على روى القاف أولها :

أبا طاهر خذها على البعد والنوى تحية مشتاق لذكراك شيق
فأجابه أبو الطاهر بقوله :

أتانى نظم الأملعى الموفق يمس اختيالا بين غرب ومشرق
وسياتيان معال عند تعرضنا لذكر نظم عياض رحم الله الجميع .

أقول : ولم يزل الفضلاء من الأئمة ، والنبهاء من أعلام هذه الأمة ،
يستجيزون الأشياخ الأخيار ، عند تعذر اللقاء وبعد الديار ، ولو تتبعنا ذكر من
فعل ذلك لضاق عنه هذا الموضوع ، ولما احتمله هذا المجموع . وقد استجاز
الإمام الشهير الأديب الكبير ، الشيخ العلامة أبو الحسن حازم صاحب
المقصورة ، وجية الدين منصوراً ، فكتب إليه الوجيه رحمه الله بقوله :

إنى أجزت لحازم بن محمد صدر الأفاضل والإمام السيد
مجموع ما رُوِّيتَه فَرَوِّيتَه عن ألف شيخ من رواة المسند

فى مصرها مع شامها وعراقها وحجازها من متهم أو منجد
 وجميع ما صنفته وجمعته فى علم فقه الشافعى محمد
 فَلْيَرَوْ عَنِ ما رويت رواية مشروطة بتوثيق وتشدد
 وليبق فى روض العلوم منعما بسعادة وسيادة وتأيد

وإذا جرى ذكر حازم فلا بد أن نورد بعض التعريف به فنقول:

قال السيوطى فى الطبقات^(١):

حازم بن محمد بن حسن بن محمد بن خلف بن حازم الأنصارى
 القرطاجنى النحوى، أبو الحسن، شيخ البلاغة والأدب.

قال أبو حيان: كان أوحـد زمانه فى النظم والنثر والنحو واللغة
 والعروض وعلم البيان. روى عن جماعة يقاربون الألف، وروى عنه أبو
 حيان، وابن رشد، وذكره فى رحلته فقال: حبر البلغاء وبحر الأدباء ذو
 اختيارات فائقة، واختراعات رائقة، لا نعلم أحداً ممن لقيناه جمع من علم
 اللسان ما جمع، ولا أحكم من معاقد علم البيان ما أحكم، من منقول
 ومبتدع، وأما البلاغة فهو بحرها العذب، والمتفرد بحمل رايتها أميرا فى
 الشرق والغرب، وأما حفظ لغات العرب وأشعارها وأخبارها، فهو حماد
 رواياتها وحمال أوقارها، يجمع إلى ذلك جودة التصنيف وبراعة الخط،
 ويضرب بسهم فى العقلیات والدراية أغلب عليه من الرواية.

صنف: سراج البلغاء فى البلاغة، وكتاباً فى القوافى، وقصيدة فى

(١) بغية الوعاة ج ١ ص ٤٧٢ (ط. الخانجي).

النحو على روى الميم، ذكر منها ابن هشام فى المغنى أبياتا فى المسألة الزنبورية، وقد ذكرناها فى الطبقات الكبرى مع أبيات آخر.

مولده سنة ثمان وست مئة ومات ليلة السبت الرابع والعشرين من رمضان سنة أربع وثمانين وست مئة.

ومن شعره:

من قال حسبى من الورى بشر فحسبى الله حسبى الله
كم آية للإله شاهدة بأنه لا إله إلا هو
انتهى كلام السيوطى.

ولتزد نحن ما أمكننا، حيث لم يوف السيوطى بحقه فى الطبقات الصغرى، لأنها مبنية على الاختصار، ولم نقف على الطبقات الكبرى التى أحال عليها؛ فنقول:

قال بعض المؤرخين: هو حازم بن محمد بن الحسن بن حازم الأنصارى، فجعل والد الحسن حازماً، وجعله السيوطى محمداً، فلا ندرى هل هذا من النسبة إلى الجد، فيرجع مع ما عند السيوطى إلى وفاق، أو هما مختلفان؟

القرطاجنى: منسوب إلى قرطاجنة من سواحل كورة تدمير، من شرقى الأندلس. وهو خاتمة شعراء الأندلس الفحول، مع تقدمه فى معرفة لسان العرب وأخبارها، ونزل إفريقية بعد خروجه من بلده فطار له بها صيت، وعُمر إلى أن مات بتونس، حضرة ملوكها، ليلة الرابع والعشرين من

رمضان، من سنة أربع وثمانين وست مئة. وفى بعض المجاميع الأدبية من تأليف ابن المرباط نزيل تونس، أنَّه كان فى حضرة مراکش أيام الرشيد، انتهى.

قلت: وله فى الرشيد أمداح كثيرة، أنشدها فى الإشادة، ومدح الأمير أبا زكريا صاحب إفريقية، وولده أبا عبد الله المنتصر، وله ألف المقصورة المشهورة، وقصر محاسنها على مدحه، ومدح أخاه أبا يحيى. ومطلعها:

الله ما قد هجت يا يوم النوى على فؤادى من تباريح الجوى
قلت: قد كنت ضمنت مطلعها باكتفاء وتورية فقلت:

لم أنس يوماً للنوى عيوبه فى نهر فاس شجن هاج الجوى
فقلت إذ ذكرنى معاهداً «الله ما قد هجت يا يوم النوى»
ومقصورته تدل على اطلاعه، وصدرها بخطبة بليغة جداً، وتولى شرح هذه المقصورة الشيخ أبو القاسم الشريف الحسنى القاضى كان بغرناطة، وسمى شرحه هذا رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة، وملأه بكل غريبة، وقد طالعه غير مرة. وقد ألف الإمام المكودى شارح الألفية، مقصورة بديعة نبوية؛ وعاب على ابن دريد وحازم جعلهما مقصورتيهما مدحاً فى بنى الدنيا، فكان من جملة أبياتها:

فحازم قد عد غير حازم وابن دريد لم يفده ما درى
وقد تولى شرح مقصورة المكودى بعض أصحابه، وهو الكاتب الأديب أبو عبد الله المكلانى أعانه الله تعالى.

ومن بديع نظمه رحمه الله قصيدة جيمية، غريبة المنزع، لها صيت عظيم عند الخذاق من أهل الأدب، والنحارير من الفضلاء، عارض بها فى المعنى رائية ابن عمار الوزير؛ للمعتمد بن عباد. وفضل غير واحد هذه الجيمية الحازمية، على تلك الرائية العمارية^(١):

أدر المدامة فالنسيم مؤرج	والروض مرقوم البرود مدبج ^٥
والأرض قد لبست برود جمالها	فكأنما هى كاعب تتبرج ^٥
والنهر مما ارتاح معطفه إلى	لقيا النسيم عبابه متموج ^٥
يمسى الأصيل بعسجدى شعاعه	أبدًا يوشى صفحه ويدبج ^٥
وتروم أيدى الريح تسلب ما اكتسى	فتزيده حسنًا بما هى تنسج ^٥
فارتح لشرب كئوس راح نورها	بل نارها فى مائها تتوهج ^٥
واسكر بنشوة لحظ من أحبته	أو كأس خمر من لاه تمزج ^٥
واسمع إلى نغمات عود تطبى	قلب الخلى إلى الهوى وتهيج ^٥
بم وزير يسعدان مثنائيًا	ومثالًا طبقاتها تتدرج ^٥
من لم يهيج قلبه هذا فما	للقلب منه محرك ومهيج ^٥
فأجب فقد نادى بألسن حاله	للأنس دهر للهموم مفرج ^٥
طربت جمادات وأفصح أعجم	فرحًا وأصبح من سرور يهزج ^٥
أفيفضل الحى الجماد مسرة	والخى للسرء منه أحوج ^٥
ما العيش إلا نعمت به وما	عاطاك فيه الكأس ظبى أدعج ^٥

(١) نفح الطيب ج ٥ ص ٥٢٣.

ممن يروك منه ردف مردف
 فإذا نظرت لطرة ولغرة
 أبقيت أن ثلاثهن وما غدا
 ليل على صبح على بدر على
 كأس ومحبوب يظل بلحظه
 يا صاح ما قلبى بصاح عن هوى
 وبمهجتي الظبي الذى فى أضلعى
 ناديت حادى عيسه يوم النوى
 قف أيها الحادى أودع مهجة
 لما تواقفنا وفى أحداجها
 ناديتهم قولوا لبدركم الذى
 يحيا العليل بلفظة أو لحظة
 قالوا نخاف يزيد قلبك لاعجا
 وبكيت واستبكيت حتى ظل من
 وبقيت أفتح بعدهم باب المنى
 وأقول يا نفس اصبرى فعسى النوى
 فترقب السراء من دهر شجا
 وترج فرجة كل هم طارق

قبل وخصر ذو اختصار مدمج
 ولصفحة منه بدت تتأجج
 من تحتها ينآد أو يتموج
 غصن تحمله كثيب رجرج
 قلب الخلى إلى الهوى يستدرج
 شيئين بينهما المنى تستنتج
 قد حل وهو يشبها ويؤجج
 والعيس تحدى والمطايا تحدج
 قد حازها دون الجوانح هودج
 قمر منير بالهلال متوج
 بضياته تسرى الركاب وتدلج
 تطفى غليلاً فى الحشا يتأجج
 فأجبتهم خلوا اللواعج تلج
 عبراتنا بحر ببحر يمزج
 ما بيننا طورا وطورا يرتج
 بصباح قرب ليلها يتبلج
 والدهر من ضد ل ضد يخرج
 فلكل هم فى الزمان تفرج

وتذكرت بهذه الجيمية قصيدة ابن قلاقس الإسكندري، رحمه الله تعالى^(١):

عرضت لمعترض الصباح الأبلج	حوراء فى طرف الظلام الأدلج
فتمزقت شية الدجا عن غرتى	شمسين فى أفق وكلة هودج
ووراء استار الحمول لواحظ	غازلن معتدل الوشيح الأعوج
من كل مبتسم السنان إذا جرى	دمع النجيع من الكمى الأهوج
ولقد صحبت الليل قلص برده	لعباب بحر صباحه المتموج
وكان متثر النجوم لآلى	نظمت على صرح من الفيروزج
وسهرت أرقب من سهيل خافقاً	متفرداً وكأنه قلب الشجى
واستعبرت مقل السحاب فأضحكت	منها ثغور مفوف ومدبج

وابن قلاقس هذا له فى النظم الباع المديد؛ ومن محاسنه قوله رحمه الله تعالى:

سدودها من القلوب رمحا	وانتضوها من الجفون صفاحا
يا لها حالة من السلم حالت	فاستحالت ولا كفاح كفاحا
صح إذ أذرت العيون دماء	أنهم أثخنوا القلوب جراحا
يا فؤادى وقد أخذت أسيراً	أتفطرت أم وضعت سلاحا
قل لأعتادك التى اقتسموها	ضربوا فيك بالعيون قداحا

(١) نفح الطيب ج ٥ ص ٥٢٥.

عجبا للجفون وهى مراض كيف تستأسر القلوب الصحا
آه من موقف يود به المغ رم لو مات قبله فاستراحا
حيث يخشى أن ينظم اللثم عقداً فيه أو يعقد العناق وشاحا

رجع إلى قول حازم رحمه الله تعالى:

فمن قوله من قصيدة:

فتق النسيم لطائم الظلماء عن مسكة قطرت مع الأنداء
وغدا الصباح يفض خاتم عنبر بالشرق عن كافورة بيضاء
والكوكب الدرى يزهو سابحا فى مائه كالدرة الزهراء
وكأنما ابن ذكاء يذكى مجمرًا منه يفيد الريح طيب ذكاء

وقال سامحه الله من قصيدة فى المستنصر:

أمن بارق أورى بجنح الدجى سقطا تذكرت من حل الأبارق فالسقطا
وبان ولكن لم بين عنك ذكره وشط ولكن طيفه عنك ما شطا
حبيب لو أن البدر جاره فى مدى من الحسن لاستدنى من البدر واستبطا
سقى الله عيشا قد سقانا من الهوى كثوسا بمعسول اللمى خلطت خلطا

وله مطلع قصيدة:

سلطان حسن عليه للصبا علم إذا رآته جيوش الصبر تنهزم

وقال رحمه الله يصف وردة بيضاء:

ومبيضة الأثواب تُدعى بوردة تقل لها الأشباه عند التماسها
أنافت على ساق لتشرب عندما أشارت لها كف البروق بكاسها
كجارية قامت ببيض غلائل مرفعة أذيالها حول رأسها

ومن بديع نظمه رحمه الله تعالى تضمينه قصيدة امرئ القيس، وصرف
معناها إلى مدح المصطفى ﷺ، وهى من غر القصائد^(١):

لعينيك قل إنَّ زرت أفضل مرسل «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل»
وفى طيبة فانزل ولا تعش منزلا «بسقط اللوى بين الدخول فحومل»
وزر قد طالما طاب نشرها «لما نسجتها من جنوب وشمأل»
وأثوابك اخلع محرما ومصدقا «لدى الستر إلا لبسة المتفضل»
لدى كعبة قد فاض دمعى لبعدها «على النحر حتى بل دمعى محملى»
فيا حادى الآبال سربى ولا تقل «عقرت بعيرى يامراً القيس فانزل»
فقد حلفت نفسى بذاك وأقسمت «على وآلت حلفه لم تحلل»

(١) نفح الطيب ج ٥ ص ٥٢٠.

فقلت لها لا شك أنى طائع
وكم حملت فى أظهر العزم رَحَلها
وعاتبت العجز الذى عاق عزمها
نبى هدى قد قال للكفر نوره
تلا سوراً ما قولها بمعارضٍ
لقد نزلت فى الأرض ملة هديه
أتت مغرباً من مشرق وتعرضت
ففازت بلاد الشرق من زينة بها
فصلى عليه الله ما لاح بارق
نبى غزا الأعداء بين ثلاثع
فكم ملك وفاه فى زى منجدٍ
وكم من يمان واضح جاءه اكتسى
ومن أبطاحى نيط منه نجاده
أزالوا ببدر عن سروجهم العدا
ونادوا ظباهم لا يفتك فتى ولا
وفض جموعاً قد غدا جامعاً بها
وأحموا وطيساً فى حنين كأنه
ونادوا بنات النبع بالنصر أثمرى
«وأنتك مهمما تأمرى القلب يفعل»
«فيا عجباً من كورها المتحمل»
«فقلت لك الوليات إنك مرجلى»
«إلا أيّها الليل الطويل ألا انجل»
«إذا هى نصته ولا بمعطل»
«نزول اليمانى ذى العياب المحمل»
«تعرض أثناء الوشاح المفضل»
«بشق وشق عندنا لم يحول»
«كلمع اليدين فى حبى مكلل»
«وبين إكام بعد ما متأمل»
«بمنجرد قيد الأوابد هياكل»
«بضاف فوق الأرض ليس بأعزل»
«بجيد معم فى العشيرة مخول»
«كما زلّت الصفواء بالمتزل»
«كبير أناس فى بجادٍ مزمل»
«لنا بطن ذى قفاف عقتقل»
«إذا جاش فيه حميه غلى مرجل»
«ولا تبعدينا من جناك المعلل»

وممن له سددت سهمين فاضربى
 فما أغنت الأبدان درع بها اكتست
 وأضحت لواليتها ومالكها العدا
 وقد فر منصاع كما فر خاضب
 وكم قال يا ليل الوغى طلت فانبج
 فليت جوادى لم يسر بى إلى الوغى
 وكم مرتق أوطاس منهم بمسرج
 وقرطه خرصا كمصباح مسرج
 فيزهو لهاد فوق هاديه طرفه
 ويسمع من كافورتين بجانبى
 ترفع أن يعزى له شد شادن
 ولكنه يمضى كما مر مزبد
 ويغشى العدا كالسهم أو كالشهاب أو
 جياذ أعادت رسم رستم دارسا
 وريعت بها خيل القياصر فاخفت
 سبت عربا من نسوة العرب تستبى
 وكم من سجايا الفرس والصفى أسهرت
 وحزن بدورا من لىالى شعورها
 وأبقت بأرض الشام هاما كأنها
 «بسهميك فى أعشار قلبٍ مقتل»
 «ترائبها مصقولة كالسجنجل»
 «ويقولون لا تهلك أسى وتجمل»
 «لدى سمرات الحى ناقف حنظل»
 «بصبح وما الإصباح منك بأمثل»
 «وبات بعينى قائما غير مرسل»
 «متى ما ترق فيه تسهل»
 «أهان السليط فى الذبال المقتل»
 «بناظرة من وحش وجرة مطفل»
 «أثنت كقنو النخلة المتعشكل»
 «وإرخاء سرحان وتقريب تنفل»
 «يكب على الأذقان دوح الكنهبل»
 «كجلمود صخرٍ حطه السيل من عل»
 «وهل عند رسم دارس من معول»
 «جواهر فى صرة لم تزيل»
 «إذا ما اسبكرت بين درع ومجول»
 «نؤوم الضحى لم تتطق عن تفضل»
 «تضل المدارى فى مثنى ومرسل»
 «بأرجائها القصوى أنايش عنصل»

وما جف من حب القلوب بغورها
لخضراء ما دبت ولا نبتت بها
شدا طيرها فى مثمرى ذى أرومة
فشدت بروض ليس يذبل بعدها
وكم هجرت فى القبيظ تحكى دوارعاً
وكم أدجت والقت^(١) يهفو هزيرة
وخضن سيولا فضن بالبيد بعد ما
وكم ركزوا ومحا بدعص كأنه
فلم تب حصنا خوف حصنهم العدا
فهدت بغضب شد بعد صقاله
وجيش بأقصى الأرض ألقى جرانه
يداك الصفا دكا ولو مر بعضه
دعا النصر والتأييد راياته اسحبى
لواء منير النصل طاو كأنه
كأن دما الأعداء فى عذباته
صحاب بروا هام العداة وكم قروا
وكم أكثروا ما طاب من لحم جفرة
وكم جبن من غبراء لم يسق نبتها

«وقيعانها كأنه حب فلفل»
«أساريع ظبى أو مساويك إسحل»
«وساق كأنبوب السقى المذل»
«بكل مغار الفتل شد يذبل»
«عذارى دوار فى الملاء المذيل»
«ويلوى بأثواب العنيف المثل»
«أثرن غباراً بالكديد المركل»
«من السيل والغشاء فلكة مغزل»
«ولا أطمأ إلا مشيد بجندل»
«بأمراس كتان إلى صم جندل»
«وأردف أعجازا وناء بكلكل»
«وأيسره على الستار فيذبل»
«على أثرينا ذيل مرطٍ مرحل»
«منارة ممسى راهب متبتل»
«عصارة حناء بشيب مرجل»
«صفيف شواة قدير معجل»
«وشحم كهذاب الدمقس المقتل»
«دراكا ولم ينضح بماء فيغسل»

(١) هذا الصواب من نفع الطيب ج ٥ ص ٥٢٢ وتحرف فى المطبوع إلى: «القطر».

حكى طيب ذكراهم ومر كفاحهم
 لأمداح خير الخلق قلبى قد صبا
 فدع من لأيام صلحن له صبا
 وأصبح عن أم الحويرث ما سلا
 وكن فى مديح المصطفى كمديح
 وأمل به الأخرى ودنياك دع فقد
 وكم لنبيث للفضاد منابث
 ينادى إلهى إنَّ ذنبى قد عدا
 فكن لى مجيرا من شياطين شهوة
 وينشد دنياه إذا ما تدلت
 فإن تصلى حبلى بخير وصلته
 وأحسن بقطع الحبل منك وبته
 أيا سامعى مدح الرسول تنشقوا
 وروضة حمد للنبي محمّد
 ويا من أبى الإصغاء ما أنت مهتدٍ
 فلو مطفلا انشدتها لفظها ارعوت
 ولو سمعته عصم طود أمالها
 «مداك عروس أو صلابة حنظل»
 «وليس صباى عن هواها بمنسل»
 «ولا سيما يوم بدارة جلجل»
 «وجارتها أم الرباب بمأسل»
 «يقلب كفيه بخيط موصل»
 «تمتعت من لهو بها غير معجل»
 «نصيح على تعذاله غير مؤتل»
 «على بأنواع الهموم ليبتلى»
 «على حراص لو يشرون مقتلى»
 «أفاطم مهلا بعض هذا التدلل»
 «وإن كنت قد أزمعت صرمى فأجملى»
 «فسلى ثيابى من ثيابك تنسل»
 «نسيم الصبا برىا القرنفل»
 «غذاها نمير الماء غير المحلل»
 «وما إنَّ أرى عنك العماية تنجلى»
 «فألهيته عن ذى تائم محول»
 «فأنزل منها العصم من كل منزل»

وقال رحمه الله في مثل هذا الغرض، مؤديا من مدح رسول الله ﷺ
المفترض، مضمناً قصيدة أخرى لامرئ القيس^(١):

أقول لعزى أو لصالح أعمالي	«ألا عم صباحا أيها الطلل البالي»
أما واعظي شيب سما فوق لمتي	«سمو حباب الماء حالا على حال»
أنار به ليل الشباب كأنه	«مصاييح رهبان تشب لقفال»
نهاني عن غي وقال منبها	«ألست ترى السمار والناس أحوالي»
يقولون غيره لتنعم برهة	«وهل يعمن من كان في العصر الخالي»
أغالط دهرى وهو يعلم أننى	«كبرت وألاً يحسن اللهو أمثالى»
ومؤنس نار الشيب يقبح لهوه	«بأنسة كأنها خط تمثال»
أشيخا وتأتى فعل من كان عمره	«ثلاثين شهرا فى ثلاثة أحوال»
وتشغفك الدنيا وما إن شغفتها	«كما شغف المهنوءة الرجل الطالى»
ألا إنها الدنيا إذا ما اعتبرتها	«ديار لسلمى عافيات بذى خال»
فأين الذين استأثروا قبلنا بها	«لناموا فما إن من حديث ولا صال»
ذهلت بها غيا فكيف الخلاص من	«لعوب تنسينى إذا قمت سربالى»
وقد علمت منى مواعيد توبتى	«بأن الفتى يهذى وليس بفعال»
ومذ وثقت نفسى بحب محمد	«هصرت بغصن ذى شماريخ ميال»
وأصبح شيطان الغواية خاسئا	«عليه القتام سيئ الظن والبال»

(١) نفح الطيب ج ٥ ص ٥١٨.

ألا ليت شعرى هل تقول عزائمي
 فأنزل داراً للرسول نزيلها
 فطوبى لنفس جاورت خير مرسلٍ
 ومن ذكره عند القبول تعطرت
 جوار رسول الله مجد مؤثل
 ومن ذا الذى يشنى عنان السرى وقد
 ألم تر أن الظبية استشفعت به
 وقال لها عودى فقالت له نعم
 فعادت إليه والهوى قائل لها
 ويا لبعير قال أزمع مالكى
 وثور ذبيح بالرسالة شاهدٍ
 وحن إليه الجذع حنة عاطش
 وأصلين من نخل قد التأما له
 وقبضة ترب منه ذلت لها الظبا
 وأضحى ابن جحش بالعسيب مقاتلا
 وحسبك من صوت الطفيل إضاءة
 وبذت به العجفاء كل مطهم
 ويا خسف أرض تحت باغيه علا
 وقد أخدمت نار لفارس طالما
 «لخلى كرى كرة بعد إجفال»
 «قليل الهموم ما يبيت بأوجال»
 «بيثرب أدنى دارها نظر عالى»
 «صبا وشمال فى منازل قفال»
 «وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى»
 «كفانى ولم أطلب قليل من المال»
 «تميل عليه هونة غير مجفال»
 «ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى»
 «وكان عدائى الوحش منى على بالى»
 «ليقتلنى والمرء ليس بقتال»
 «طويل القرا والروق أحنس ذيال»
 «لغيث من الوسمى رائده خال»
 «بما احتسبا من لين مسّ وتسهاال»
 «ومسنونة زرق كأنياب أغوال»
 «وليس بذى رمح وليس بنبال»
 «كمصباح زيت فى قناديل ذبال»
 «له حجبات مشرفات على الفال»
 «على هيكل نهـد الجزارة جوال»
 «أصابـت غضى جـزلاً وكف بأجزاء»

أبان سبيل الرشد إذ سبل الهدى «يقلن لأهل الحلم ضلا بتضلال»
 لأحمد خير المرسلين انتقيتها «ورضت فذلت صعبة أى إذلال»
 وإنَّ رجائي أن ألاقيه غداً «ولست بمقلى الخلال ولا قالى»
 فأدرك آمالى وما كل أمل «بمقدرك أطراف الخطوب ولا آلى»

قلت: هكذا وجدت بخط بعض أعلام مراکش نسبة هذه القصيدة لأبى الحسن حازم المذكور، واعتمدت على هذه النسبة، ثم بان لى خطأها، وإنما هذه القصيدة من نظم العلامة أبى بكر بن جزى الكلبي الغرناطى، حسبما نص على ذلك غير واحد^(١).

ولنورد كلام بعض الأئمة فى حقه، لأن فيه المطلوب وزيادة، ونصه:

محمد بن أحمد عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزى الكلبي، يكنى أبا القاسم^(٢)، من أهل غرناطة، وذوى الأصالة والنباهة فيها، وأصل سلفه من وكّبه، من حصن البراجلة، نزل بها أولهم عند الفتح، صحبة قريتهم أبى الخطار حسام بن ضرار الكلبي، وعند خلع دعوة المرابطين كان لجدهم يحيى بجيان، رئاسة وانفراد بالتدبير.

وكان رحمه الله على طريقة مثلى، من العكوف على العلم، واللاقتيات من حر النشب، والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين، فقيها حافظا، قائما على التدريس، مشاركا فى فنون من العربية والفقه والأصول والقراءات

(١) منهم المقرئ فى نفح الطيب ج ٥ ص ٥١٧، ثم أورد له هذه القصيدة التى نسبت هنا لحازم.

(٢) نفح الطيب ٥/ ٥١٤، والكتيبة الكامنة ٤٦.

والحديث والأدب، حافظاً للتفسير، مستوعباً للأقوال، جماعة للكتب، ملوكى الخزانة، حسن المجلس، ممتع المحاضرة، قريب الغور، صحيح الباطن؛ تقدم خطيباً بالمسجد الأعظم من بلده، على حداثة سنه، فاتفق على فضله، وجرى على سنن أصالته.

ومن شيوخه الأستاذ أبو جعفر بن الزبير^(١)، وابن الكماد، وابن رشيد، والحضرمي، وابن أبي الأحوص، وابن برطال، وأبو عامر بن ربيع الأشعري والولى أبو عبد الله الطنجالي، وابن الشاط.

تأليفه^(٢): كتاب «وسيلة المسلم فى تهذيب صحيح مسلم»؛ و«الأنوار السنية فى الكلمات السنية»؛ وكتاب «الدعوات والأذكار»؛ وكتاب «القوانين الفقهية»؛ وكتاب «تقريب الوصول إلى علم الأصول»؛ وكتاب «النور المبين فى قواعد عقائد الدين»؛ إلى غير ذلك مما قيده فى التفسير والقراءات.

شعره: قال فى الأبيات الغينية، ذاهبا مذهب الجماعة، كأبى العلاء المعرى، والرئيس ابن المظفر، وأبى الطاهر السلفى، وأبى الحجاج بن الشيخ، وأبى الربيع بن سالم، وأبى على بن أبى الأحوص، وغيرهم:

لكل بنى الدنيا مراد ومقصد	وإنَّ مرادى صحة وفراغ ^(٣)
لأبلغ فى علم الشريعة مبلغا	يكون به لى للجنان بلاغ
ففى مثل هذا فلينافس ذوو النهى	وحسبى من دار الغرور بلاغ
فما الفوز إلا فى النعيم مؤبد	به العيش رغد والشراب يساغ

(١) نفح الطيب ج ٥ ص ٥١٤.

(٢) نفح الطيب ج ٥ ص ٥١٥.

(٣) نفح الطيب ج ٥ ص ٥١٥.

وقال في مذهب الفخر:

وكم من صفحة كالشمس تبدو فيسلى حسنها قلب الحزين^(١)
غضضت الطرف عن نظرى إليها محافظة على عرضى ودينى
انتهى .

ومن مشهور نظمه رحمه الله :

أروم امتداح المصطفى فيردنى قصورى عن إدراك تلك المناقب^(٢)
ومن لى بحصر البحر والبحر زاخر ومن لى بإحصاء الحصى والكواكب
ولو أنَّ أعضاءى غدت وهى ألسن لما بلغت فى القول بعض مآربى
ولو أنَّ كل العالمين تألفوا على مدحه لم يبلغوا بعض واجب
فأقصرت عنه هيبة وتأدبا وعجزاً وإعظاماً لأعظم جانب
ورب سكوت كان فيه بلاغة ورب كلام فيه عيب لعائب

ورأيت بخط الإمام ابن داود أنَّ قوله وكم من صفحة البيتین، ليس من كلامه، بل من كلام ابنه أبى بكر وهو خطأ لابن ابن الخطيب ذكر فى الكتيبة أنَّ البيتین للشيخ أبى القاسم لا لابنه أبى بكر^(٣)، والله الموفق.

(١) نفح الطيب ج ٥ ص ٥١٦، والكتيبة الكامنة ٤٧ .

(٢) نفح الطيب ج ٥ ص ٥١٥ .

(٣) الكتيبة الكامنة ٤٧ .

ثم قال هذا المعرف بابن جزى:

مولده: يوم الخميس التاسع لربيع الثانى من عام ثلاثة وتسعين وست
مئة .

وفاته: فقد وهو يحرض الناس ويشحذ بصائرهم ويشبّتهم يوم الكائنة
بطريف، ضحوة يوم الاثنين السابع لجمادى الأولى عام واحد وأربعين وسبع
مئة. تقبل الله شهادته. انتهى .

ولنختم ترجمته بقوله رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه بمنه:

يا رب إنَّ ذنوبى اليوم قد عظمت فما أطيق لها حصرا ولا عددا^(١)
وليس لى بعذاب النار من قبلٍ ولا أطيق لها صبـرا ولا جلدا
فانظر إلهى إلى ضعفى ومسكنتى ولا تذيبننى حر الجحيم غدا

ثم قال فى التعريف بولده أبى بكر المقصود ذكره هنا وهو الذى ألف أو
أبوه الأنوار السنية ما نصه:

هو أحمد بن محمّد بن أحمد بن جزى الكلبي، يكنى أبا بكر^(٢)، من
أهل الفضل والنزاهة والهمة، وحسن السمـت، واستقامة الطريق، غرب فى
الوقار، ومال إلى الانقباض وله مشاركة حسنة فى فنون من فقه وعربية وخط
ورواية وأدب، وشعر وتسمو ببعضه الإجادة إلى غاية بعيدة، وقرأ على والده
ولازمه، واستظهر ببعض تأليفه، وتفقه وتآدب به، وقرأ على بعض معاصرى
أبيه، ثم ارتسم فى الكتابة السلطانية لأول دولة السلطان أبى الحجاج بن

(١) نفح الطيب ٥/٥١٦، والكتيبة الكامنة ٤٧ .

(٢) نفح الطيب ٥/٥١٧ .

نصر، وولى القضاء ببرجة وباندرش، ثم بوادى آش، مشكور السيرة معروف
النزاهة.

ومن شعره^(١):

أرى الناس يولون الغنى كرامة وإن لم يكن أهلا لرفعة مقدار
ويلوون عن وجه الفقير وجوههم وإن كان أهلا أن يلاقى بإكبار
بنو الدهر جاءتهم أحاديث جمّة فما صححوا إلا حديث ابن دينار

ومن بديع ما صدر عنه تصدير أعجاز قصيدة امرئ القيس بقوله:

أقول لعزى أو لصالح أعمالى «ألا عم صباحا أيّها الطلل البالى»^(٢)
ثم سرد منها أحد عشر بيتا إلى قوله:

فأين الذين استأثروا قبلنا بها «لناموا فما إن من حديث ولا صال»
ثم قال ما نصه: وهى ثمانية وأربعون بيتا، ولا خفاء ببراعة هذا النظم
وإحكام هذا النسيج، وشدة هذه العارضة.

وله تقييد^(٣) فى الفقه على كتاب والده المسمى بالقوانين الفقهية، ورجز
فى الفرائض، وإحسان كثير.

(١) نفح الطيب ٥/٥١٧.

(٢) نفح الطيب ٥/٥١٨.

(٣) نفح الطيب ٥/٥٢٥.

وتقدم قاضيا للجماعة بحضرة غرناطة ثامن شوال عام ستين وسبع مئة
ثم صرف عنها. ثم لما توفى الأستاذ الخطيب العالم الشهير، أبو سعيد فرج
ابن لب رحمه الله تعالى، وكان خطيب الجامع الأعظم بغرناطة، ولى عوضا
منه أستاذا وخطيبا، عام اثنين وثمانين وسبع مئة، فبقى فى الخطابة ثلاثة
أعوام، ثم توفى. وأظن أن وفاته إنما كانت فى أواخر عام خمسة وثمانين
وسبع مئة رحمه الله تعالى. انتهى.

ولا شك أن ما ذكره هذا الإمام فى حق والده إنما هو من كلام ابن
الخطيب فى الإحاطة والله أعلم.

ولأبى بكر بن جزى هذا أخ كاتب مجيد من عجائب الزمن، وهو
الفقيه الكاتب محمد بن محمد بن^(١) أحمد بن عبد الله بن يحيى بن الأمير
أبى بكر عبد الرحمن الثائر بجيان، ابن يوسف بن سعيد الغرناطى، المتوفى
بفاس فى عام ثمانية وخمسين وسبع مئة رحمه الله، وقيل: بل توفى آخر
شوال من السنة قبلها مبطونا رحمه الله.

قلت: وهذا هو الصواب فى وفاته، فإننى رأيت بخط من يوثق به من
الأعلام الذين عرفوا حاله، أنه توفى بداره من البيضاء قرب المغرب من يوم
الثلاثاء التاسع والعشرين لشوال، من عام سبعة وخمسين وسبع مئة، وكان
دفنه يوم الأربعاء بعد صلاة العصر وراء الحائط الشرقى الذى بالجامع الأعظم
من المدينة البيضاء، وكان مولده فى شوال من عام واحد وعشرين وسبع مئة.
انتهى.

(١) نفح الطيب ٥/٥٢٦.

يكنى أبا عبد الله. قال ابن الأحمر في نثير الجمان: أدركته ورأيتُه وهو من أهل بلدنا غرناطة، وكان أبوه أبو القاسم محمد أحد المفتين بها، عالم الأندلس، الصائرة^(١) فتياه منها إلى طرابلس، وقتل شهيدا في المعترك في الوقعة التي كانت للنصارى دمرهم الله بطريف على المسلمين، في سنة إحدى وأربعين وسبع مئة بعد أن أبى بلاء حسنا.

وأبو عبد الله محمد هذا كتب بالأندلس في حضرة ابن عم أبينا أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف، وله فيه أمداح عجيبة، ولم يزل كاتباً في الحضرة الأحمرية النصرية إلى أن امتحنه أمير المسلمين أبو الحجاج ابن عم أبينا.

قلت: كان هذا الامتحان الذي ذكره ابن الأحمر هو أنه ضربه بالسياط من غير ذنب اقترفه بل ظلمه ظلماً بينا. هكذا ألفيته في بعض المقيدات^(٢) والله أعلم.

ثم قال ابن الأحمر: فقوض الرحال عن الأندلس، واستقر بالعدوة، فكتب بالحضرة المرينية، لأمر المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان، إلى أن توفي بها رحمه الله.

حاله رحمه الله:

طلع في السماء العلوم بدرًا مشرقًا، وسارت براعته غربًا ومشرقًا، وسما بشعره فوق الفرقدين، كما أربى بنثره على الشعرى والبطين، له باع مديد في التاريخ، واللغة، والحساب، والفقه والنحو والبيان والآداب، بصيرًا بالأصول والفروع والحديث، عارفًا بالماضي من الشعر والحديث؛ إن نظم أنساك أبا ذؤيب برقته، ونصيبًا بمنصبه ونخوته؛ وإن كتب أربى على ابن مقلة

(١) في المطبوع: «الطائرة» والمثبت أولى.

(٢) هذا هو لفظ ابن الأحمر في نثير فرائد الجمان.

بخطه، وإن أنشأ رسالة أنساك العمداد بحسن مساقها وضبطه؛ وهو رب هذا الشأن، وفارس هذا الميدان؛ ومع تفننه في العلوم فهو في الشعر قد نبغ، وما بلغ أحد من شعراء عصره منه ما بلغ؛ بل سلموا التقدم فيه إليه، وألقوا زمام الاعتراف بذلك في يديه؛ ودخلوا تحت راية الأدب التي حمل، إذ ظهر ساطع براعته ظهور الشمس بالحمل.

أنشدني لنفسه يمدح أمير المسلمين أبا الحجاج يوسف بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل، عم أبينا، ابن جدنا الرئيس الأمير سعيد فرج، ابن جدنا الأمير أبي الوليد إسماعيل، ابن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر، ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر، محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي، هذه القصيدة البارعة، وحذف منها الرءاء المهملة:

قسماً بوضاح السنى وهاج	من تحت مسبول الذوائب داج ^(١)
وبأبلج بالمسلك خطت نونه	من فوق وستان اللواظ ساج
وبحسن خد دبجت صفحاته	فغدت تحاكي مذهب الديباج
ومبسم كالعقد نظم سلكه	ولمى حكى الصهباء دون مزاج
ومنطق تصبو القلوب لحسنه	أنسى المسامع نغمة الأهزاج
وبمائس الأعطاف تشنيه الصبا	فيميس كالخطى يوم هياج
ومنعم مثل الكثيب يقله	متضعف يشكو من الإدماج
وبموعد للوصول أنجز فجأة	من بعد طول تمنع ولجاج

(١) نفح الطيب ٥/٥٢٧.

وبأكؤس أطلعن فى جنح الدجى
 وحدائق سحب السحاب ذيوله
 وجداول سلت سيوفاً عند ما
 وبأقحوان قد تضاحك إذ بكت
 وقدود أغصان يملن كأنها
 وحمائم يهتفن شجواً بالضحى
 إنَّ المعالى والعوالى والندى
 ملك تتوج بالمهابة عندما
 وأفاض حكم العدل فى أيامه
 هو منقذ العانى ومغنى المعتفى
 ماضى العزيمة والسيوف كليلة
 علم الهدى والناس فى عمياء قد
 غيث الندى والسحب تبخل بالحيا
 ليث الوغى والخيل تزجى بالقنا
 يتقشع الإظلام إذ يبدو له
 من آل قيلة من ذؤابة سعدا
 حيث العلا ممدوحة الأطناب لم
 والأعوجيات السوابق تمتطى
 شمس السلافة فى سماء زجاج
 فيها وبات لها النسيم يناجى
 فجئت بجيش للصبا عجاج
 عين الغمام بمدمع ثجاج
 تخفى حديثها بينها وتناجى
 فهديلهن لذى الصبابة شاجى
 والبأس طوع يدى أبى الحجاج
 لم يستجر فى الدين لبس التاج
 فالحق أبلغ واضح المنهاج
 ومذلل العاتى وغوث اللاجى
 طلق المحيا والخطوب دواجى
 ضلوا لوقع الحادث المهتاج
 والمحل يبدى فاقة المحتاج
 والبيض تنهل فى دم الأوداج
 وجه كمثل الكوكب الوهاج
 أعلى بنى قحطان دون خلاج
 تخلق معالمها يد الإنهاج
 فتظلل الآفاق سحب عجاج

والبيض والأسل العوامل تقتضى	مهج الكماة بأبلغ الإزعاج
مجد ليوسف جمعت أشتاته	أعيا سواه بعد طول علاج
مولاي هاك عقيلة تزهو على	أخواتها كالغادة المغناج
إنشاء عبد خالص لك حبه	ومن العبيد مداهن ومداجي
أوى إلى أكناف نعماك التى	ليست إليه صلاتها بخداج
سباق ميدان البلاغة والوغى	لشعاب كل منها ولاج
جانبت أخت الزاى فيها عامداً	فأتت من الإحسان فى أفواج
فافتح لها باب القبول وأول من	أهداكها ما ينبغى من حاج

قال ابن الأحمر: وأنشدنى أيضاً لنفسه، يمدح أمير المؤمنين المتوكل على الله أبا عنان فارساً ملك المغرب^(١)، رحمه الله:

إنَّ قلبى لعهدة الصبر ناكث	عن غزال فى عقدة السحر نافث
أضرم النار فى فؤادى وولى	قائلا لا تخف فإنى عابث
ورمانى من مقلتيه بسهم	ثم قال اصطبر لثان وثالث
كم عذول أتى يناظر فيه	كان تعذاله على الحب باعث
ويمين أليتها بالتسلى	فقضى حسنه بأنى حانث
جبر الله صدع قلب عميد	صدعت شمله صروف الحوادث

(١) نفح الطيب ٥/ ٥٢٨.

فهو يهفو إلى البروق ويروى
 سلبته الأشجان إلا بقايا
 وبكاء على عهد مواض
 لست وحدي أشكو بلية وجدى
 يا مضيع العهود والله يعفو
 غرنى منك والجمال غرور
 مقل يقتسمن أعشار قلبى
 كيف غيرت بانتزاحك حالى
 فرط حبى وفرط حبك إلا
 وندى فاس وحسنك ردا
 ملك البأس والندى فهو بالسيـ
 محرز المجد والثناء فهذا
 أوطأ الشهب رجله وترقى
 فدرار تسرى وما لحقته
 وله المقربات لا بل هى العقد
 مطلعات من كل نعل هلالا
 إن توافقن فالجبال الرواسى
 والمواضى كأنها قد أعيرت
 عن نسيم الصبا ضعاف الأحداث
 من أمان حبالهن رثااث
 ملأت صدره هموما حدائث
 إن داء الغرام ليس بحادث
 عنك إنى ارتضيت خطة ناكث
 وظبا اللحظ فى القلوب عواث
 بالرضا منى اقتسام الموارث
 وتغيرت لى وليس بحارث
 أن عينيك بالفتور نوافث
 قول من قال سد باب البواعث
 ف وبالسبب عابث أو غاث
 سائر فى الورى وذلك لاث
 صاعدا فى سموه غير ماكث
 ونجوم خلف القصور لواث
 بان من فوقها الليوث الدلاث
 فلهذا تجلو دجى كل حادث
 أو تسابقن فالغيوث الحثااث
 حدة الذهن منه عند المباحث

هى نار محرقات الأعادى	وهى ماء مطهرات الخبائث
فيردن بالوغى ذكورا عطاشا	ثم يصدرن ناهلات طوامث
من معاليه قد رأينا عيانا	كل فضل ينصه من يحدث
خلق كالنسيم مر سحيرا	بالأزاهير فى البطاح الدمائث
فى سبيل الإله يقضى ويدنى	ويوالى فى ذاته ويناكث
شرف الملك منه سام وحام	فقدته سام وحام وياث
حاكها من بنات كسرى بكرا	ليس يسمو لها من الناس طامث
ذات لفظ لا يعتريه اختلال	ومعان لا تتحيها المباحث
زعماء القريض أبقوا بقايا	كنت دون الورى لهن الوارث
من تقتادها فهى هذى	عرضة البحث فليكن جد باحث

قلت: رأيت^(١) بخط ابن الصباغ العقيلي على حاشية قوله:

«وندى فارس وحسبك رداً...» البيت، ما نصه: ما أبدع تخلصه
للمدح وأطبعه، فإنه أشار إلى قول الشاعر راداً عليه بالتبكيث، ومعقبا^(٢) له
بالتعنيت:

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة	باب السماحة والملاحاة مغلق
مات الكرام فلا كريم يُرتجى	منه النوال ولا مليح يُعشق

انتهى.

(١) نفح الطيب ٥ / ٥٣٠.

(٢) فى المطبوع: «ومعنفا» والمثبت من النفح وهو أولى.

وعلق بحفظي^(١) أن السلطان أبا عنان أطل من برج، يشاهد الحرب بين
الثور والأسد، على ما جرت به عادة الملوك، فقال ابن جزى هذا فى وصف
الحال، ما يكاد تعد معارضته من قبيل المحال، وهو:

لله يوم بدار الملك ——— به من العجائب ما لم يجر فى خلد^(٢)
لاح الخليفة فى برج العلا قمرا يشاهد الحرب بين الثور والأسد

ومن بارع نظمه رحمه الله تعالى:

أبا حسن إن شئت الدهر شملنا فليس لود بالفؤاد شتات^(٣)
وإن حلت عن عهد الإخاء فلم يَزَلْ^(٤) لقلبي على حفظ العهود ثبات
وهبنى سرت منى إليك إساءة ألم تتقدم قبلها حسنات

وهو الذى ألف رحلة ابن بطوطة حسبما هو معلوم.

قال ابن الأحمر: ومن بارع نظمه رحمه الله تعالى قوله وهو بحال
مرض^(٥):

إن يأخذ السقم من جسمى مأخذه وأصبح القوم من أمرى على خطر

(١) نفح الطيب ٥ / ٥٣٠ .

(٢) نفح الطيب ٥ / ٥٣١ .

(٣) نفح الطيب ٥ / ٥٣١ .

(٤) فى المطبوع: «فلم أزل» والمثبت رواية النفح وهى أولى .

(٥) نفح الطيب ٥ / ٥٣١ .

فإنَّ قلبى بحمد الله مرتبط بالصبر والشكر والتسليم للقدر
فالمرء فى قبضة الأقدار مصرفه للبرء والسقم أو للنفع والضرر

وحكى لى غير واحد^(١)، أنَّ الفقيه الكاتب القاضى الحاج الرحال
إسحاق ابن الحاج النميرى، بقى فى خلوته جميع شهر رمضان المعظم من عام
سبعة وخمسين وسبع مئة، فلما خرج يوم عيد الفطر أنشده سيدى أبو عبد
الله ابن جزى المذكور لنفسه يخاطبه:

ما سرار البدور إلا ثلاث فلماذا أرى سرارك شهرا
أتعجلته سرورا لعام ثم تبقى فى سائر العام بدرا
وحكى^(٢) أنه كتب رحمه الله للرئيس الكاتب، أبى القاسم بن
رضوان، يطلب منه شراب سکنجبین، وقصد التصحيف بقوله:

أحسن زان بيتك نجيب تسر به برء مرضى.

تصحيفه:

أحب شراب سکنجبین شربه برء مرضى.

قال فجأوبه ابن رضوان بقوله:

«إنَّ برك نفيس». تصحيفه مقلوبا: «يشفيك ربنا».

(١) نفح الطيب ٥/ ٥٣١.

(٢) نفح الطيب ٥/ ٥٣١.

وتذكرت بهذا ما وقع للرئيس ابن الجياب، فإنه أهدى له الفقيه ابن قطبة
 رمانا، ثم دخل عليه عائدا، فلما رآه قال له: يا فقيه، نَعِمَ بالهُدنة زمانك،
 أراد: نعمت الهدية رُمانك. وكان هذا قبل موته من مرضه بيسير، وهو مما
 يدل على ثقب ذهنه حتى قرب الموت، سامحه الله وغفر له.

ومن نظم أبى عبد الله بن جزى المذكور قوله:
 رعى الله عهدا بِالْمَرِيَّةِ لا أرى له أبدا ما عشت فى الناس بالناسي^(١)
 وكيف ترى بالله صحبة معشر مجاهد بعض منهم وابن عباس

ومن ذلك قوله رحمه الله فى الزاوية التى أنشأها أبو عنان، وهو
 مكتوب عليها إلى قرب هذا التاريخ:
 هذا محل الفضل والإيثار والرفق بالسكان والزوار^(٢)
 دار على الإحسان شيدت والتقى فجزاؤها الحسنى وعقبى الدار
 هى ملجأ للواردين ومورد لابن السبيل وكل ركب سارى
 آثار مولانا الخليفة فارس أكرم بها فى المجد من آثار
 لا زال منصورا اللواء مظفرا ماضى العزائم سامى المقدار
 بنيت على يد عبدهم وخديم با بهم العلى محمّد بن جدار

(١) نفح الطيب ٥/ ٥٣٢.

(٢) نفح الطيب ٥/ ٥٣٢.

فى عام أربعة وخمسين انقضت من بعد سبع مئين فى الأعصار

ومن بديع نظمه رحمه الله قوله :

وما أنسى الأحبة حين بانوا تخوض مطيهم بحر الدموع^(١)
وقالوا اليوم منزلنا الحنايا فقلت نعم ولكن من ضلوعى

وقوله رحمه الله :

ورب يهودى أتى متطببا ليأخذ ثارات اليهود من الناس^(٢)
إذا جس نبض المرء أودى بنفسه سريعا ألم تسمع بفتكة جساس

وقوله رحمه الله :

من أى أشجاني التى جنت الهوى أشكو العذاب وهن فى تنويع؟^(٣)
من وصلى الموقوف أو من هجرى الـ موصول أو من نوى المقطوع؟

وقوله رحمه الله :

فخدى وجسمى والفؤاد وأدمعى شهود بهم دعوى الغرام تصح^(٤)

(١) نفح الطيب ٥/ ٥٣٢ .

(٢) نفح الطيب ٥/ ٥٣٢ .

(٣) نفح الطيب ٥/ ٥٣٢ .

(٤) نفح الطيب ٥/ ٥٣٣ .

ومن عجب أن رَجَّحَ الناسَ نقلهم وكلهم ذو جرحه فيه تقدح
جسمى ضعيف والفؤاد مغلط ودمعى مطروح وخدى مجرح

وقوله رحمه الله :

يا محيا كتب الحسن به أحرفا أبدع فيها وبرع^(١)
ميم ثغر ثم نون حاجب ثم عين هى تميم البدع
أنا لا أطمع فى وصلك لى وعلى وجهك مكتوب منع

قال ابن الأحمر :

ومن إنشاء البارع موريا بالكتب^(٢) ، ورفعها لأمير المؤمنين المتوكل على
الله أبى عنان فارس ، رحمه الله ، يهنئه بإبلال ولده وولى عهده ، الأمير أبى
زيان محمد من مرض^(٣) :

ماذا عسى أدب الكتاب يوضح من خصال مجدك وهو الزاهر الزاهى
وما الفصيح بكليات موعبا كاف فىأتى بإنباء وإنباء
أبقى الله مولانا الخليفة ولسعادته القدح المعلى ، ولزاهر كماله التاج

(١) نفح الطيب ٥/ ٥٣٣ .

(٢) نفح الطيب ٥/ ٥٣٣ وبهامش المطبوع : «يلاحظ أن هذه الرسالة مشتملة على التورية بأسماء كثيرة من الكتب المشهورة . وقد اكتفينا بهذه الإشارة عن التنبيه على كل منها .

(٣) بهامش نفح الطيب : «ليس من السهل التعريف بكل هذه الكتب التى ورى بها فى هذه الرسالة ، لأن ذلك يتطلب تطويلاً لا تتحمله هذه الحواشى .

المحلى، تجلى من حلاه نزهة الناظر، ويسير بعلاه المثل السائر، ويتسق من ثناه العقد المنظم، ويتضح بهداه القصد الأهم، ولا زالت مقدمات النصر له مبسوبة، ومعونة السعد بإرشاته منوطة، وهدايته متكفلة بإحياء علوم الدين، وإيضاح منهاج العابدين، وإرشاده يتولى تنبيه الغافلين، ويأتى من شفاء الصدور بالنور المبين، وميقات الخدمة ببابه مطمح الأنفس، وملخص الجود من كفة بغية المتلمس، قد حكم أدب الدين والدنيا، بأنك سراج الملوك، لما أته عوارفك بالمشرع السلسل ومعارفك بنظم السلوك، ووضحت معالم مجدك وضوح أنوار الفجر، وزهت بعدلك المسالك والممالك زهو خريدة القصر، فلك فى جمهرة الشرف النسب الوسيط، ومن جمل المآثر الخلاصة والبسيط، وسبل الخيرات لها برعايتك تيسير، ومحاسن الشريعة لها بتحصيلك تحبير، وأنت حجة العلماء، الذى تقصر عن قصى مآثره فطن الأذكياء، إن أنبههم التفسير ففى يديك ملاك التأويل، أو اعتاص تفريع الفقه فعندك فضل البيان له والتحصيل، وإن تشعب التاريخ فلديك استيعابه، أو تطاول الأدب ففى إيجاز بيانك اقتضابه، وإن ذكر الكلام ففى انتقائك من برهانه المحصول، أو المنطق ففى موجز أماليك لبابه المنخول، وليس أساس البلاغة إلا ما تأتى به من فصل المقال، ولا جامع الخير إلا ما حزته فى تهذيب الكمال، ولذلك صارت خدمتك غاية المطلوب، وحبك قوت القلوب، ولا غرو أن كنت من العلياء درتها المكنونة، فأسلافك الكرام هم جواهرها الثمينة، بحماستهم أصيب مقاتل الفرسان، وبجود جودهم تسنى رى الظمان، وبتسهيل عدلهم وضحت شعب الإيمان، وأنت المنتقى من سمط جمانهم، والواسطة فى قلائد عقيانهم، عنك تؤثر سيرة الاكتفاء، وعن فروعك السعداء، تروى أخبار نجباء الأبناء، فهم لمملكك العلية بهجة مجالسها، وأنس مجالسها وقطب سرورها، ومطالع نورها، وولى عهدك

دريتهم الخطيرة، وذخيرتهم الأثيرة، لا زال كمال سعادته بطول مقامك محكما، وحرز أمانيه بالجمع بين الصحيحين: حبك ورضاك معلما، وقد وجبت التهئة بما كان في حيلة برئه من التيسير، وما تهيأ في استقامة قانون صحته من نبح التدبير، ولم يكن إلا أن بعدت به عنك المسالك، وأعوز نور طرفه تقريب المدارك، وتذكر ما عهده من الإيناس الموطأ جناية عند فضل مالك، فوري من شوقه سقط الزند، والتهب في جوانح قبس الوجد، فأمدته من دعائك الصالح بحلية الأولياء، فظفر لما شارف مشارق الأنوار من حضرتك بالشفاء، وقد حاز إكمال الأجر بذلك العارض الوجيز، وكان كشيب الإبريز، وهاهو قادم بالطالع السعيد، آتب بالمقصد الأسنى من الفتح والتمهيد، يطلع بين يديك طلوع الشهاب، وييسم عن مفصل الشاء في الهناء بذلك زهر الآداب، فأعد له تحفة القادم من إحسانك الكامل، واخصه بالتكملة من إيناسك الشامل، فهو الكواكب الدرى المستمد من أنوارك السنية، وفي تهذيب شمائله أيضاح للخلق الكريمة الفارسية، لا زالت تزدان بصحاح مآثر عيون الأخبار، وتتعطر بنفحة الزهر من ثنائك روضة الأزهار، وتتلى من محامدك الآيات البينات، وتتولى عليك الألفاف الإلهيات بمن الله وفضله.

والسلام الكريم يعتمد المقام العلى ورحمة الله وبركاته. انتهى.

وقد قال أبو عبد الله بن جزى المذكور رحمه الله عدة قطع يورى فيها بأسماء الكتب منها قوله^(١):

(١) نفح الطيب ٥/٥٣٦.

ظبى هو الكامل فى حسنه وثغره أبهى من العققد
جماله المشرق لكنها أخلاقه تحكى صبا نجد
وقوله رحمه الله^(١):

لك الله من خل حبانى برقعة حبتنى من آياتها بالنوادر
رسالة رمز فى الجمال نهاية ذخيرة نظم أتحفت بالجواهر
وقوله رحمه الله^(٢):

قصتى فى الهوى المدونة الكب رى وأخبار عشقى المبسوطه
حجتى فى الغرام واضحة إذ لم تزل مهجتى بوجد منوطه
أقول: ما أبدع هذا الفصل الذى حبره هذا الحبر فى فن التورية،
وشاهده على استحقاق مبرز عدل لا يحتاج إلى تزكية.

وتذكرت بهذه التورية بأسماء الكتب قول بعض الأكابر وأظنه الشيخ
الكاتب أبا محمد عبد المهيمن الحضرمى، لأن الكاتب أبا إسحاق بن الحاج
النميرى رحمه الله قال حسبما وجدت بخطه ما نصه:

أنشدنى شيخنا الإمام أبو محمد لنفسه^(٣):

من اغتدى موطأ أكنافه صح له التمهيد فى أحواله
وقابل استذكاره بالمتقى من رأيه المختار من أعماله

(١) نفح الطيب ٥/٥٣٦.

(٢) نفح الطيب ٥/٥٣٦.

(٣) نفح الطيب ٥/٥٣٧.

وأضحت المسالك الحسنى له تدنى تقصيا قصى آماله
وسار من مشارق الأنوار فى أدنى المدارك إلى إكماله

ثم قال أبو إسحاق بن الحاج المذكور: ولما وقف على ذلك صاحبنا
الفاضل العالم أبو علىّ حسين بن صالح بن أبى دلامة أنشدنى له هذه الأبيات
وزاد ذكر القبس والمعلم^(١):

قل للموطأ للورى أكنافه بشرى بالتمهيد فى الأحوال
وإذا اكتفى بالمتقى استذكاره وفى له المختار فى الأعمال
ومسالك الحسنى تؤديه إلى أقصى التقصى من قصى الآمال
ويلوح من قبس الهداية رشده من معلم التفصيل والإجمال
انتهى كلام ابن الحاج .

ومن هذا المعنى قول الوزير أبى عبد الله بن الخطيب^(٢):

وظبى لأوضاع الجمال مدرس عليم بأسرار المحاسن ماهر
أرى جیده نص المحلى وقررت ثناياه ما ضمت صحاح الجواهر

(١) نفح الطيب ٥/٥٣٧ .

(٢) نفح الطيب ٥/٥٣٧ .

وقول ابن خاتمة^(١):

ومعطر الأنفاس ييسم دائما عن در ثغر زانه ترتيب
من لم يشاهد منه عقد جواهر لم يدر ما التنقيح والتهذيب
ومن قول ابن خاتمة أيضاً^(٢):

سفهنى عاذلى عليه وقال لى وده عليل
فقلت معتل أو صحيح يودعه عينه الخليل

وقوله أيضاً^(٣):

حاز الجمال بصورة قمرية تجلو عليك مشارق الأنوار
وحوى الكمال بسيرة عمرية تتلو عليك مناقب الأبرار

ولنرجع إلى نظم ابن جزى فنقول:

وأنشد فى الإحاطة لأبى عبد الله بن جزى المذكور^(٤):

تلك الذؤابة ذبت من شوقى لها واللحظ يحميها بأى سلاح
يا قلب فانج وما إخالك ناجيا من فتنة الجعدى والسفاح

(١) نفح الطيب ٥/٥٣٧.

(٢) نفح الطيب ٥/٥٣٧.

(٣) نفح الطيب ٥/٥٣٧.

(٤) نفح الطيب ٥/٥٣٨ والإحاطة ٢/٢٦٥.

وقوله رحمه الله تعالى^(١):

وعاشق صلى ومحاربه
قالوا تعبدت فقلت نعم
وجه غزال ظل يهواه
تعبدوا يفهم معناه
وقوله رحمه الله^(٢):

نصب الحبائل للورى بالحسن إذ
وأماله عنى العواذل ضلة
رفع اللثام وذيله مجرور
فهو الممال وقلبي المكسور
وقوله رحمه الله^(٣):

لا تعد صنفك إن ذهبت لصاحب
أوما ترى الأشجار مهما ركبت
تعتده لكن تخير وانتق
إن خولفت أصنافها لم تعلق
انتهى .

ولنختتم ما أوردنا من نظمه بقوله^(٤):

أيتها النفس قفى عندما
فمن يكن يرضى بما ساءه
ألزمت فعلا كان أو قولاً
أو سره فهو له الأولى
لا يترك العبد وما شاءه
إلا إذا أهمله المولى

(١) نفح الطيب ٥/ ٥٣٩ .

(٢) نفح الطيب ٥/ ٥٣٨ . وقد تحرف «الممال» فى المطبوع إلى: «المحال» وصوابه مما ذكر .

(٣) نفح الطيب ٥/ ٥٣٩ ، والإحاطة ٢/ ٢٦٣ .

(٤) نفح الطيب ٥/ ٥٣٩ .

وقوله رحمه الله^(١):

لولا ثلاث قد شغفت بحبها ما عفت في حوض المنية موردى
وهى الرواية للحديث وكتبه والفقهاء فيه وذاك حسب المهتدى

ولنعد إلى ذكر حازم فنقول:

كان أبو الحسن حازم والكاتب الفقيه المحدث أبو عبد الله بن الأبار فرسا
رهان في ميدان الآداب، وقد جمعها الزمان وتعلقهما من الدولة الحفصية
بأهداب.

وإذ قدمنا نبذة من أخبار أبي الحسن حازم فلا بأس أن نتبعها بمثلها من
أخبار الإمام ابن الأبار.

وهو الفقيه الأجل الكاتب الخافل، الراوية المحدث، الفاضل الناقد
البارع، الحافظ الكامل، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلسي
المعروف بابن الأبار.

(*) قال في المغرب في حقه ما ملخصه: حامل راية الإحسان، المشار
إليه في هذا الأوان؛ ومن شعره قوله - يصف الياسمين:

(١) نفح الطيب ٥/ ٥٣٩.

(*) من هذه العلامة إلى مثلها فيما يلي ساقط من المطبوع واستدرك من مخطوطة الرباط رقم
٧٨٤، وهو موجود بنصه لدى المصنف في نفح الطيب ٢/ ٥٩١ - ٥٩٣ وانظر المغرب
ج ٢ ص ٣١٠.

حديقة الياسمين لا تهيم بغيرها الحدقُ
إذا جفن الغمام بكى تبسم ثغرها اليقق
فأطراف الأهله سا ل فى أثنائها الشفق

وقوله - وكتب بها إلى الوزير الأصيل أبى عبد الله بن أبى الحسين بن
سعيد وزير صاحب إفريقية يستدعى منه منشوراً:

لك الخير أتحننى بخيرى روضة

لأنفاسه عند الهجوم هبوب

أليس أديب الروض يجعل ليله

نهارة فيذكو تحت ويطيب

ويطوى مع الإصباح منشور نشره

كما بان عن ربع المحب حبيب

أهيم به عن نسبه أديبة

ولا غرو أن يهوى الأديب أديب

وقوله فى الخسوف:

نظرت إلى البدر عند الخسوف

وقد شين منظره الأزينُ

كما سمرت صفحة للحبيب

ب يحجبها برقع أدكن

وقوله فى المعنى :

ألم تر للخسوف وكيف أبدى

بيدر التم لماع الضياء

كمراً جلاها القين حتى

أنارت ثم ردت فى غشاء

وقوله :

والثريا بجانب البدر تحكى

راحة أومأت لتلطم خدا

وقوله :

من عاذرى من بابلى طرفه

ولعمره ما حل يوما بابلا

أعتدّه خوطا لعيشى ناعما

فيعود خطيا لقتلى ذابلا

وهو حافظ متقن، له فى الحديث والأدب تصانيف، وله كتاب فى متخير الأشعار سماه: «قطع الرياض»، وله كتاب فى شعراء الأندلس، وله تكملة الصلة لابن بشكوال، وله «هداية المعترف، فى المؤتلف والمختلف»، وكتاب التاريخ، وبسببه قتله صاحب إفريقية وأحرق كتبه - على ما بلغنا - رحمه الله، وله «تحفة القادم فى شعراء الأندلس»، و«الحلة السيرة فى أشعار الأمراء».

ومن شعره:

أمرى عجيب فى الأمور بين التوارى والظهور

مستعمل عند المغير ب ومهمل عند الحضور

وسبب هذا الشعر أن ملك تونس كان إذا أشكل عليه شىء، أو ورد عليه لغز أو مُعَمَّى أو مترجم، بعث به إليه فيحله، وإذا حضر عنده لا يكلمه ولا يلتفت إليه؛ ووجد فى تعاليقه ما يشين دولة صاحب تونس، فأمر بضربه، فضرب حتى مات، وأحرقت كتبه - رحمه الله .

وكان عداه يلقبونه بالفار، وحصلت بينه وبين أبى الحسن على بن شلبون المعافى البلنسى مهاجاة، فقال فيه:

لا تعجبوا لمضرة نالت جميع

مع الناس - صادرة عن الأبار

أليس فارا خلقة وخليقة

والفار مجبول على الإضرار

فأجابه ابن الأبار:

قل لابن شلبون مقل تنزه

غيرى يجاريك الهجاء فجار

«إنا اقتسمنا خطتينا بيننا

فحملت برة واحتملت فجار»(*)

قال قاضى القضاة ولى الدين بن خلدون فى تاريخه الكبير الموسوم بديوان العبر وكتاب المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى لسلطان الأكبر ما نصه: